أرسين لوبين

بوليس آراب

رواية بوليسية فذة حافلة بأروع المفاجآت
بطلها اللص الظريف

أرسين لوبين

تأليف الكاتب الفرنسى الكبير

موريس لبلان

مقـــدمة

لم يكن فكتور المفتش ببوليس الآداب ، قبل ان يذيـع صيته وتطبق شهرته الخافقين ، الا شرطيا عجوزا حـاذقا دائم التجهم والقطوب . جاف الطباع عجيب الأطـوار ، يؤدى عمله كاحد الهواة فلا يشتغل بقضية الا اذا راقت فى نظره وطاب له ان يضطلع بامرها ، ويستخدم فى ابحاثه وسائل شاذة وطرقا غريبة طالما تحدثت عنها الصحف .

وهو ، على ما جاء فى تقرير المسيو جوتييـه مدير الشرطة عنه :

« المفتش فكتور هوتان ابن نائب عام سابق توفى فى تولوز منذ اربعين عاما . وقد امضى شطرا كبيرا من حياته فى المستعمرات وامتاز بكفاءة نادرة حتى كانت تعهـد اليه ادق المهام واخطرها ولكنه كان كثيرا ما ينقـل من جهة الى اخرى على اثر الشكاوى التى تقدم ضـده من الازواج والآباء الذين يغوى نساءهم وبناتهم ، وما لبث أن ترك الخدمة فى المستعمرات بعد ان حالت هذه الفضائح دون بلوغه المراكز الادارية الرفيعة ، وعاد الى الاستقلال فى العمل والحرية فى اختيار السبل التى يستخدمها فى ابحاثه فقد اثبت انه من الرجـال الافذاذ الذين يؤدون لادارة الشرطة خدمات جليلة دون ان تكون له مطامع خاصة

او يبالى بالاعلان عن نفسه . مما يجعلنى بالغ الرضى عن أعماله » .

ولم تكن شهرة فكتور فى ذلك الحين تعـدو الدائرة الضيقة ، لرؤسائه وزملائه ، ولكنها ما لبثت ان ذاعت فى جميع الأرجاء فجأة عندما وقف وجها لوجه امام أرسين لوبين ، تلك الشخصية الجبارة الخـارقة التى اضفت على قضية سرقة سندات الدفاع الوطنى ومقتل الأب ليسكو وأليزماسون اهمية بالغة . فكان النضال العنيف الذى نشب بينهما والنتيجة غير المنتظرة التى انتهت اليهـا تلك القضية . سببا فى ان تردد فى انحاء العالم قاطبة اسم : فكتور ، المفتش ببوليس الآداب .

الفصـل الأول

كانت الصدفة وحدها هى التى قادت المفتش فيكتور الى سينما بلتازار فى مساء ذلك الأحد فقد كان ثائر الأعصاب منهوك القوى على أثر مطاردة فاشلة فمضى متثاقلا الى مقهى صغير بشارع كليشى وراح يتصفح احدى صحف المساء واذا به يجد فيها تلك الفقرة :

« تؤكد الأوساط العلمية أن اللص الذائع الصيت أرسين لوبين بعد أن طال صمته فى السنوات القليلة الماضية قد رؤى أخيرا فى احدى مدن شرق فرنسا . وقد سافر بعض مفتشى البوليس الى تلك المدينة ولكن من المتوقع أن

يستطيع أرسين لوبين كعادته ، الافلات مرة أخرى من قبضة العدالة » .

وكان فيكتور شرطيا صارما يمقت الخارجين على القانون ويعدهم أعداء شخصيين له ، فصر على أسنانه وهو يزداد حنقا وغضبا وغمغم : يا للوغد !

وكأنما أراد أنيسرى عن نفسه قليلا ، فمضى الى سينما بلتازار القريبة واتخذ لنفسه مقعدا فى الشرفة . ولكن سرعان ما انتابه الملل اذ كانت الرواية من النوع البوليسى فاعتزم أن ينصرف فى فترة (الاستراحة) ، وما أن أضيئت الأنوار وهم بالقيام حتى لمح على مقربة منه امرأة بارعة الجمال تجلس بمفردها فى احدى المقاصير الامامية ذات وجه شاحب وشعر ذهبى ، من أولئك النساء اللاواتى تشع الفتنة منهن وتجذب اليهن الأنظار من كل صوب .

وعندئذ عاد فيكتور الى مقعده وهو يروض نفسه على الصبر حتى ينتهى العرض . وما كان ليعتقد فى قرارة نفسه أنه ممن يروقون فى عيون النساء الآن ، فهو يعلم حق العلم أن وجهه الهضيم ، وأساريره الدائمة القطوب ، وبشرته المجعدة ، وفوديه المجللين بالشيب ومظهره المنفر الذى ينطق بأنه جندى متقاعد فى الخمسين من عمره ـ كل ذلك ما كان ليجعل له لدى الحسان حظوه أو مقاما

ولكنه كان رجلا لا يمل ادمان النظر الى الجميلات ، قانعا بأن يرى فيهن ما يذكره بأيام الصبا الماضية .

فلما تألقت الأنوار ثانية فى نهاية العرض استوت المرأة على قدميها فرآها فيكتور فارعة الطول ، ممشوقة القد ، بادية الأناقة . وتقدم نحوها متمهلا ليتأملها عن كثب ، ولكنه ما كاد يدنو منها حتى ثار فى القاعة هرج شديد ، وارتفع صوت رجل يصيح فى نبرات مختنقة : النجدة .! اقبضوا عليها .. لقد سرقتنى تلك اللصة اللعينة .

فانحنت الحسناء فوق حافة المقصورة متطلعة كما انحنى فيكتور بدوره فرأى فى القاعة شابا بدينا قصير القامة يشير بيديه فى هياج شديد وهو يحاول أن يدفع المحتشدين حوله ليشق لنفسه طريقا بينهم . ولم ير فيكتور أو غيرهمن المشاهدين امرأة تحاول الفرار ، ومع ذلك فقد مضى الشباب فى صياحه وهو يلوح بكلتا يديه :

... هناك . انها تعبر الباب الآن . تلك السمراء ذات الثوب الأسود . امسكوا بها .. لقد سلبتنى مالى !.

وأفلح أخيرا فى دفع الناس عنه مهرعا الى الأبواب الخارجية حيث كان فيكتور يلحق به اذ رأى من واجبه أن يخف لنجدته . واكن الطريق زاخرا بالمارة ، والظلام

يرخى سدوله ، فمكث الشاب جامدا فى مكانه فوق الافريز بضع ثوان يجيل نظراته الشاردة يمنة ويسرة بحثا عن ضالته ، ثم اندفع يعدو فجأة نحو ميدان كليشى لا يبالى بالأخطار التى يتعرض لها وهو يقفز بين عربات الترام والسيارات .. وكان قد كف عن الصياح ، ولكنه شعر بأن شخصا آخر يجرى بجواره فزاد ذلك فى حميته يضاعف من سرعته ، وعندئذ سمع صوتا يقول له :

ـ أما زلت تراها ؟ . وكيف تستطيع أن تميزها فى هذا الظلام بحق الشيطان ؟

فغمغم لاهثا : كلا .. لست أراها الآن .. ولكن لا ريب أنها مضت من هذا الطريق .. ثم انعطفت فى طريق جانبى قليل الزحام .

واستمر فى عدوه حتى بلغ مفترقا للطرق فقال لرفيقه :

ـ امض الى اليمين .. أما أنا فسأذهب يسارا وسوف نلتقى فى الميدان .. ولا تنس انها فتاة ترتدى السواد ذات شعر أسود حالك .

ولكنه ما كاد يسير قليلا فى الطريق الذى اختاره حتى توقف عن الجرى واستند الى أحد الجدران لاهث الأنفاس

مترنحا .. وعندئذ فقط ادرك ان زميله لا يزال معه لم يفارقه ، فصاح به حانقا :

. ماذا ؟. أما زلت هنا ؟. لقد طلبت اليك أن ...

ـ نعم .. ولكنى أراك يا صاح منذ غادرنا ميدان كليشى تسير على غير هدى ، وهذا مما يدعو الى التفكير فى الأمر قليلا .. فقد اعتدت مثل هذه الأمور .

فرمقه الشاب ورآه كهلا أشيب الشعر ، وعجب اذ لم يلمح عليه أثرا للتعب او الاجهاد بعد هذا العدو الطويل .. ثم قال : آه ! هل أعتدت ذلك حقا ؟ ..

ـ أجل فاننى من رجال الشرطة . المفتش فكتور .

فبدا الاضطراب فى أسارير الفتى وزاغت نظـراته ثم غمغم :

ـ من رجال الشرطة ؟. اننى لم أر أحدا منهم من قبل .

ثم مد اليه يده شاكرا ، وهو يستطرد : الى اللقاء . لقد كنت بالغ الطيبة معى .. وهم بالمسير ولكن فيكتور أمسك قائلا :

ـ وتلك المرأة ؟. تلك التى سلبتك أموالك ؟

- لا تهتم بذلك فسوف أجدها يوما ما .

- ولكنى قد أفيدك فى شىء .. فهل ذكرت لى بعض المعلومات ؟

- عن أى شىء ؟ لقد كنت واهما !

ثم جد فى السير حثيثا والمفتش فيكتور الى جانبه يزداد التصاقا به كلما اشتدت رغبة الآخر فى الخلاص منه .. ولم يتبادلا كلمة واحدة حتى وقف المفتش فجأة وهو يمسك بذراع الفتى ، وقال :

- دعنا ندخل هنا قليلا .

فنظر الفتى الى حيث أشار فكتور ، ورأى بابا منخفضا تعلوه تلك العبارة « مركز البوليس » فانتفض قائلا :

- هنا ؟. وماذا تريد أن نفعل فى هذا المكان ؟

- نتحدث قليلا !

- هل جننت ؟ أغرب عن وجهى !

وكان فكتور حانقا اذ أضاع عليه هذا الغبى فرصة التقرب الى حسناء السينما الشقراء ، فجذبه من ذراعه فى عنف .. وأراد الشاب أن يقاومه ولكنه ما لبث أن رأى نفسه يدفعه الى داخل المخفر رغم أنفه ، بين جمع حاشد من الجنود .

وتقدم فكتور الى الضابط وعرفه بنفسه ، فتلقاه هذا فى احترام بالغ ، اذ كان للمفتش شهرة مستفيضة بين رجال البوليس جميعا ، بينما تخاذل الشاب البدين فوق أحد المقاعد خائر القوى مفكك الأوصال .. وفكتور يقول له :

- الا تذكر لى لماذا كنت تعدو فى الطريق كمن فقد صوابه ؟ لقد هربت السارقة واختفت عن ناظريك ، ومع ذلك فقد مضيت فى العدو كأنك تفرمن شىء ما ..

- ولكننى لم أؤذ أحد بذلك ، ثم انه ليس من شأنك فمن حقى أن أسير كما اريد ..

- دعك من هذا الهراء ، وهات أوراقك ..

- لن أعطيها لك .

ولم يطل الأمر كثيرا فما هى الا لحظة حتى كان فكتور يفتش ثيابه ويخرج حافظة أوراقه فيفحصها برهة ثم يقول : هل هذا اسمك ، ألفونس أوديجران ؟ الا تعلم شيئا عن هذا الاسم يا سيدى القوميسير ؟

فأجابه الضابط نفيا ، وعندئذ تناول فكتور آلة التليفون وطلب ادارة المباحث الجنائية ، وبعد لحظة كان يقول :

- أهذا أنت يا ليفوبور ؟ اننى فكتور المفتش ببوليس الآداب ، ومعى هنا بمخفر شارع يورسين شخص يدعى

أوديجران ويبعث مظهره على الريبة ، فهل تعرفون شيئا عنه ؟ . ها ؟ . ماذا ؟ نعم . . الفونس أديجران . . برقية من ستراسبورج ؟ اتلها على ، تماما ، بدين وقصير القامة وذو شوارب مدلاة ، هو بعينه ، من عندك من المفتشين ؟ مسيو هدوان .. أخبره بالأمر ودعه يحضر الى المخفر .. شكرا .

ثم وضع المسماع والتفت الى أوديجران قائلا :

ـ اذن فهذه قصتك ؟ وانت ذلك الموظف الذى انقطع عن عمله فى البنك المركزى بستراسبورج منذ يوم الخميس الماضى واختفى عن الانظار فاختفت معه سندات الدفاع الوطنى التسعة ؟ يا لها من صفقة رابحة يا صديقى ! تسعمائة ألف فرانك لا ريب انها التى سرقت منك فى السينما .. فمن هى السارقة ؟

وخارت عزيمة أوديجران فانخرط يبكى فى حرارة كالأطفال ، ثم قال : التقيت بها فى المترو منذ يومين ، ثم قضينا السهرة معا ليلة الأمس ، ولا ريب أنها لاحظت ذلك الغلاف الأصفر الذى كنت أخفيه فى جيبى الداخلى ، فقد ظلت طيلة الوقت فى السينما تميل نحوى وتقبلنى .

ـ وهل كانت السندات فى ذلك الغلاف ؟

ـ نعم ..

ـ ما اسم هذه المرأة ؟

ـ أرنستين . ولا أعرف غير ذلك .

ـ الا تعرف مسكنها ؟

ـ كلا .

ـ وماذا تعمل ؟

ـ كاتبة فى مخزن للعقاقير الطبية .

ـ وأين هو ؟

ـ لست أدرى ، ولكنا كنا نلتقى فى ميدان المادلين .

واشتد بكاؤه وعلا نشيجه حتى تعذر على فكتور أن يفهم ما كان يغمغم به من أقوال فاكتفى بهذا القدر وأوصى القوميسير باتخاذ الحيطة اللازمة لحراسة الفتى لحين حضور المفتش هيدوان ثم انصرف الى داره وهو يفكر فى تلك الحسناء الفاتنة التى أفسد عليه أوديجران اللعين فرصة التقرب اليها والكشف عن دخيلة نفسها

★ ★ ★

وكان فكتور يقطن بمسكن صغير جم الأناقة والنظافة يقوم على شئونه خادم كهل أمين ففى صباح اليوم التالى قرأ فى الصحف قصة القبض على أوديجران كما رواها المفتش هيدوان وأحاطها بهالة من الزخرف والتنسيق ثارت

لها نفس فكتور اذ كان يعتقد أنه يجب على البوليس أن يؤدى واجبه فى صمت . وكاد ينصرف الى شئون أخرى لا تمت بصلة الى هذه القضية لولا أنه قرأ فى نفس الصحيفة أن المدينة التى رؤى فيها أرسين لوبين أخيرا هى ستراسبورج أى نفس المدينة التى وقعت فيها سرقة سندات الدفاع الوطنى . فهل هى محض مصادفة ؟. انها كذلك بلا ريب فلا يمكن أن تكون ثمة صلة بين أرسين لوبين العظيم وذلك المغفل أوديجران ومع ذلك فمن يدرى ؟

وعندئذ راح يبحث فى الدليل عن مخازن العقاقير الطبية الواقعة فى حى المادلين ، ولم تحن الساعة الخامسة بعد الظهر حتى علم أنه توجد فتاة تدعى أرنستين تعمل فى (كنتوار الكيمياء المركزى) بشارع مون تابور .. فاتصل بمديره تليفونيا وكانت الاجابة التى تلقاها كافية لأن يهرع فى الحال الى ذلك المتجر فرآه يتألف من عدة حجرات ضيقة تفصل بينها حواجز رقيقة ، واقتيد الى حجرة المدير حيث قوبل بعاصفة من الاحتجاج .

- أرنستين بيليه سارقة ؟. وهى تلك المغامرة التى قرأت قصة فرارها فى صحف هذا الصباح ؟! محال . . يا سيدى المفتش ، فهذه الفتاة ذات سمعة نقية لا تشوبها شائبة .. ومن أسرة شريفة طيبة تقيم معها .

- هل يمكننى أن أطرح عليها بعض الأسئلة ؟.

فأرسل المدير فى استدعائها فلما حضرت رأى فكتور أمامه فتاة دقيقة الملامح تطل البراءة والطيبة من عينيها السوداوين لم تلبث أن انهارت مرة واحدة عندما سألها المفتش بلهجته الخشنة عما فعلته بالغلاف الأصفر الذى سلبته من رفيقها فى السينما فأجهشت بالبكاء وهى تجيب :

انه يكذب .. فقد رأيت غلافا أصفر ملقى على الأرض والتقطته دون أن أعلم أنه يخصه الا عندما رأيت فى الصحف انه يتهمنى بسرقته .

فمد اليها فكتور يده قائلا : أهو معك الآن ؟

- كلا .. فقد وضعته فى مكتبى بالقرب من الآلة الكاتبة .

- هيا بنا لنحضره .

فمضت أمامه الى حيث يوجد مكتبها فى أحد الأركان ورفعت كومة من الأوراق كانت موضوعة فوق طرفه . . وما لبثت أن ارتعدت وبدت عليها الدهشة وهى تغمغم : لا شىء .. لقد اختفى .

فصاح فكتور فى الموظفين المحتشدين حولهما : لا يتحرك أحدكم من مكانه .. هل كان معك أحد يا سيدى المدير عندما تحدثت اليك بالتليفون ؟

- لا .. بل دعنى أتذكر .. نعم .. لقد كانت عنــدى مدام شاسان رئيسة الحسابات

- اذن فقد استطاعت ان تدرك الحقيقة من الكلمات التى سمعتها . فانى أنك كنت تخاطبنى بيا « سيدى المفتش » كما فهت باسم أرنستين مرتين .. ولما كانت تعلم بحادث الأمس فقد .. ولكن أين السيدة ؟ . »

فأجابه أحد الموظفين : انها تنصرف دائما فى الساعة السادسة الا ثلثا لتلحق بقطار الساعة السادسة .. فهى تقيم بضاحية سان كلو .

- وهل كانت قد انصرفت عندما دعوت ارنستين الى حجرة المدير ؟

- كلا .. كانت لا تزال هنا .

فقالت أرنستين : لقد كانت ترتدى قبعتها عندما طلبنى المدير ورأتنى أخرج الغلاف من صدرى واضعه على المكتب تحت هذه الأوراق .

فنظر فكتــور فى ساعته ثم طرح على الموجودين بضعة أسئلة عن مدام شاسان فعلم أنها فى الأربعين من العمــر ذات شعر أحمر مجعد وترتدى سترة من الصوف الأخضر .. ومن ثم هرع يغادر المتجر واذا به يلتقى عند الباب بالمفتش هيدوان الذى صاح به فى دهشة :

- ماذا ؟ . هل استطعت الوصول الى هنا يافكتور ؟ . وهل رأيت عشيقة أوديجران . تلك التى تدعى أرنستين ؟ .

- نعم . وكل شىء على ما يرام .

ثم أسرع بمغادرته واستقل سيارته فبلغ المحطة فى وقت تحرك قطار الساعة السادسة ولكنه استطاع أن يدركه .

وبلغ القطار محطة سان كلو بعد خمســة عشر دقيقة فخف فكتور الى مقابلة ناظر المحطة وسرعان ما روقب خروج المسافرين ، وكان عددهم كبيرا فى هذا القطار ، وما لبث فكتور أن لمح سيدة ذات شعر أحمر وسترة خضراء تحاول الخروج وسط الزحام فاقترب منها هامسا :

- هل لك أن تتبعينى يا سيدتى . اننى من رجــال البوليس .

فانتفضت المرأة وغمغمت ببضع كلمات ثم تبعت المفتش وناظر المحطة الى مكتب هذا الأخير حيث قال لها فكتور : انك تعملين فى « كنتوار الكيمياء المركزى » وقد أخذت معك من غير عمد غلافا أصفر يخص الآنسة أرنستين وكانت قد وضعته فوق مكتبها .

فقالت المرأة فى هدوء : أنا ؟ . لا ريب أن ثمة خطــأ يا سيدى .

- سوف نضطر فى هذه الحالة الى ..

- الى تفتيشى ؟ ولم لا ؟. اننى تحت تصرفك .

وتردد فكتور قليلا ازاء هدوئها ورباطة جاشها ولكنه ما لبث أن طلب اليها الانتقال الى حجرة مجاورة حيث قامت احدى عاملات المحطة بتفتيشها دون أن تعثر على أثر للغلاف أو لسندات الدفاع الوطنى .

وعندئذ اكتفى فكتور بان سالها عن عنوانها . ثم خلى سبيلها . وفى تلك اللحظة وصل قطار من باريس وقفز منه المفتش هيدوان وما ان راى فكتور حتى خف اليه فى لهفة فتلقاه هذا قائلا :

- لقد وجدت مدام شاسان متسعا من الوقت لاخفاء الغلاف بفضل ثرثرتكم أمس فى ادارة البوليس أمام الصحفيين ، وهكذا ترى أن هذه الثروة الطائلة قد تداولتها أيدى ثلاثة أشخاص فى أقل من أربع وعشرين ساعة ، وهم اوديجران وأرنستين ، وشاسان ، وما عليك الا أن تبحث عن الرابع .

ثم ترك المفتش هيدوان ذاهلا فوق الرصيف واستقل القطار العائد الى باريس .

وفى اليوم التالى استأنف فكتور أبحاثه الدقيقة فى سان كلو . وكان على يقين من أن مدام شاسان ما كانت لتضع هذه الثروة الجسيمة فى أى مكان ما كما أن الوقت لم يتسع لها حتى تخفى الغلاف فى باريس ولا ريب انها

عهدت به الى شخص كان معها فى القطار أثناء عودتها الى سان كلو . ولذلك ينبغى أن يدور بحثه حول الأشخاص الذين قدموا فى نفس القطار وتربطهم صلة وثيقة بتلك السيدة .

وذهب للقاء مدام شاسان فى منزلها ولكنه لم يظفر منها بغير النفى القاطع .. وكانت تقيم مع أمها منذ أن رفعت دعوى الطلاق ضد زوجها ، وهو تاجر حديد فى بونتواز .. وكانت الأم وابنتها تتمتعان بسمعة طيبة ولا تسمحان بزيارتهما الا لثلاث صديقات متقدمات فى العمر ثبت أنهن لم يبرحن منازلهن ولم يذهبن الى باريس منذ عدة أيام . كما أن مدام شاسان كانت من الدمامة بحيث لا يمكن أن تتهم بسوء السلوك ! .

ولم تتقدم أبحاث فكتور خطوة واحدة يوم الأربعاء .. ولا ريبأ ن ذلك السارق الرابع قد اتخذ من وسائل الحيطة ما ينأى به عن الشبهات والريب . وفى يوم الخميس ذهب الى جارسن ، وهى المحطة المجاورة لسان كلو ، وراح يستأنف البحث ، وأخيرا استقر به المقام فى مقهى أمام بناء المحطة واذا به يفاجأ بقدوم المفتش هيدوان فى الساعة التاسعة من المساء ليقول له صاخبا :

- يا لله !. هأنذا أجدك أخيرا بعد أن ظللت أبحث عنك طيلة اليوم .. فان المدير شديد الحنق لعدم اتصالك بالادارة ولكن قل لى هل وشلت الى أية نتيجة ؟

- وأنت ؟

- لا شىء البتة .

فصمت فكتور برهة ثم قال بغتة :

- ان لمدام شاسان عشيقا !

- هل جننت ؟ بوجهها هذا ؟

- لقد اعتادت الأم وابنتها أن تمضيا يوم الأحد فى النزهة بين الحقول ، وقد شوهدتا منذ أسبوعين فى صحبة رجل يدعى ليسكو ، وهو كهل فى الخامسة والخمسين ، قصير القامة ، نحيل الجسم ، ذو لحية كثة أدنى الى الشيب ، ويقيم فى جارسن بالقرب من الغابة فى منزل صغير يطلق عليه اسم (كوخ) .

- اذا كان هذا كل ما وصلت اليه فهى معلومات تافهة .

- ان أحد جيرانه ، وهو عامل بمحطة جارسن يدعى فاليانت ، يستطيع وحده أن يزودنى بمعلومات أكثر قيمة ودقة ولكنه ذهب اليوم الى فرساى مع زوجته .

وهأنذا فى انتظار عودته ..

ولبثا فى الانتظار ساعات عديدة دون أن يتبادلا كلمة واحدة ، فقد كان فكتور ميالا الى الصمت لا ينفك يدخن فى عصبية شديدة .. ولم يصل عامل المحطة الا فى منتصف

الليل فقال ردا على أسئلتهما أنه يعرف الأب ليسكو حق المعرفة اذ يقيم على مقربة من منزله . وهو رجل محب للعزلة لا يهتم الا بحديقته ولكن كثيرا ما تاتى امرأة الى منزله فى جنح الظلام فتمضى فيه ساعة أو نحوها ثم تنصرف متسللة .. أما هو فلا يغادر (الكوخ) الا فى أيام الآحاد للنزهة ، ويوما فى الأسبوع ليذهب الى باريس .

فساله فكتور :

- أى يوم ؟

- يوم الاثنين عادة .

اذن ففى يوم الاثنين الماضى ؟

- نعم .. فانى أذكر اننى تسلمت منه تذكرة العودة فى المحطة .

- فى أية ساعة ؟

- انه يستقل نفس القطار دائما .. ذلك الذى يصل الى جارسن فى الساعة سادسة وتسع عشر دقيقة .

فتبادل الشرطيان النظر ثم ساله هيدوان : ألم تره منذ ذلك الحين ؟

- كلا ولكن زوجتى تراه كل يوم اذ هى التى تبيع الخبز لسكان الضاحية وهى تزعم أن شبحا كان يجول حول كوخ الأب ليسكو ليلتى الثلاثاء والأربعاء الماضيين اذ لم يكف

كلبه عن النباح .. وقد رأت الشبح فوجدته رجلا يرتدى قبعة رخوة (كاسكت) رمادية اللون .

- ألم تعرف شيئا عن هذا الرجل ؟

- بلى .. فهى تعتقد انها قد عرفته ، ولكنها لم تخبرنى باسمه .. وسوف تعود غدا من فرساى فيمكنك أن تسألها . وانصرف الرجل لشأنه ، فقال هيدوان :

- سوف نزور الأب ليسكو فى الصباح الباكر والا أفلتت السندات من يده بدوره .

- اذن دعنانذهب لرؤية (الكوخ) الآن .

وسارا فى صمت فى الطريق المقفرة التى تؤدى الى طرف الغابة والتى تقوم على جانبيها (فيلات) صغيرة ، حتى بلغا منزل صغير ذو طابقين تحيط به حديقة صغيرة وحولها سياج من القضبان الحديدية تغطيه بعض النباتات المتسلقة ، فهمس فكتور : هناك ضوء فى المنزل .

- نعم .. فى النافذة اليمنى للطابق الأول .. ولا ريب أن الستائر لم يحكم اسدالها .

وعندئذ لاح لانظارهما ضوء آخر انبعث من النافـذة اليسرى ثم اختفى لينبعث من جديد .. فقال فكتور : عجبا .. ان الكلب لا ينبح رغم وجودنا .. مع اننى أرى حجرته امامى .

- لعل أحدا قتله .

- من ؟

- ذلك الشبح الذى كان يجول حول الكوخ فى الليلتين المـاضيتين ..

- معنى ذلك أن هناك شيئا يجرى فى المنزل الآن .. فهيا بنا نطوف حول الحديقة .. اصغ ، لقد سمعت صيحة فى الداخل .

وعندئذ توالت صيحات الاستغاثة عالية .. وتبعها طلق نارى .. ثم صيحات أخرى .. فدفع فكتور باب الحديقة بكتفه مرة واحـدة ، وأسرع الرجـلان يعبران الحديقة ويتسلقان الشرفة ، حيث وجدا نافذة مفتوحة ولجاهـا الى داخل المنزل .. فارتقى فكتور الدرج وفى يده مصباحه الكهربائى حتى اذا ما بلغ الطابق الأول وجد أمامه بابين فاسرع بولوج أحدهما بينما ظل المفتش هيدوان ليحرس الآخـر .

ورأى فكتور على ضوء مصباحه جسما ممدا فى وسط الحجرة ينتفض فى شدة ، بينما شاهد رجلا يسرع بالفرار الى الحجرة المجاورة ، فهرع خلفه ورآه يخرج من الباب الآخر الذى كان هيدوان يحرسه من خارج .

ولكنه بينما كان يجتاز تلك الحجـرة لمح شبح امرأة

تعبر النافذة المطلة على واجهة المنزل الخلفية وتهبط منها فى سهولة بحيث أيقن أنها تهبط سلما مسندا الى الجدار . وسدد اليها ضوء مصباحه الكهربائى .. وعندئذ رآها ، وعرفها .

لم تكن سوى حسناء سينما بلتزار الشقراء ! .

وكاد يثب وراءها بدوره لولا أنه سمع زميله المفتش هيدوان يناديه ، وتلا ذلك طلق نارى تبعه صوت زميله وهو يتأوه وتنثال اللعنات من شفتيه ، فأسرع نحوه وأمسك به قبل أن يهوى الى الأرض ، بينما كان الجانى قد وصل الى أسفل الدرج ، وغمغم المفتش هيدوان قائلا :

- الحق به ، فما بى من شىء ، انها فى الكتف .

ومع ذلك فقد ظل متشبثا بفكتور ، وأدرك هذا عبث مطاردة الهاربين فحمل زميله الى أريكة فى الحجرة الأولى وأرقده فوقها ثم ركع بجوار القتيل وما لبث أن قال :

- انه الأب ليسكو نفسه ، وقد مات .

- والغلاف الأصفر ؟ . ابحث عنه فى جيوبه .

ففتش فكتور الجثة . وقال :

- ها هو .. ولكنه ممزق وخال من أى شىء ، ولا ريب انه الغلاف المنشود فانى أرى عليه اسم المصنع بستراسبورج ، حيث وقعت السرقة الأولى .

وأخلد فكتور الى الصمت ، وراح يفكر فى تلك المرأة الفاتنه التى فاجأها منغمسة فى الجريمة وهو يعجب أشد العجب أى دور تلعبه فى هذه المأساة .

الفصل الثانى

أيقظت الضجة عامل المحطة وبعض الجيران فخفوا الى المكان ، وأبلغ أحدهم الأمر الى بوليس سان كلو ، بينما أسرع آخر لاحضار أحد الأطباء ، فقرر أن الأب ليسكو مات من رصاصة أصابته فى صدره ، وأما المفتش هيدوان فكانت اصابته طفيفة ، وما لبث أن نقل الى باريس .

فلما حضر قوميسير البوليس أطلعه فكتور على تفاصيل الحادث واستقر رأيهما على الانتظار الى الصباح ليفحصا الآثار التى خلفها الجناة على ضوء النهار وما كاد الصبح ينبلج حتى غصت الدار والحديقة بحشد غفير من رجال الشرطة والمباحث والمحققين الذين قدموا من باريس لهذا الغرض ولكن البحث الذى قاموا به ، وكذلك الذى تولاه فكتور بمفرده ، لم يسفر عن أية نتيجة ، ولم يوجد ما ينم عن شخصية القاتل أو شريكته الحسناء التى فرت من النافذة ، ولكنهم اكتشفوا آثار السلم الذى كان مسندا الى الجدار ، أما السلم نفسه فلا ريب أنه من النوع المعدنى الذى يسهل طيه وحمله اذ لم يعثر له على أثر . ولم يعرف أحد كيف فر الجانيان ، الا أن بعض الناس شهد بأن سيارة كانت تقف منذ منتصف الليل على بعد ثلثمائة متر من مكان الجريمة فى طريق جانبية بين أشجار الغابة وسمع محركها يدور فى الساعة الواحدة والربع ، كما وجدت آثار عجلاتها فى الطريق المؤدية الى باريس .

ووجد كلب الأب ليسكو ميتا ، وقد قتله السم . كما تبين أن الرصاصة التى قتلته وتلك التى أصابت المفتش هيدوان من مسدس أوتوماتيكى من عيار سبعة ملليمترات .. ولكن أين هو ؟

ولم يتقدم التحقيق بعد ذلك خطوة واحدة ، وكان فكتور لا يميل الى الوسائل التى يتبعها رجال البوليس عادة وانما يحب أن يخلو لنفسه للتفكير فى نفسية الجريمة والمجرمين ، ولذلك فانه تسلل فى هدوء وانصرف تاركا الدار ومن فيها .

ومضى الى مسكن فاليانت عامل المحطة ولكن زوجته ، وكانت قد عادت من فرساى ، أنكرت أنها تعرف شيئا عن الموضوع أو تعلم شيئا عن شخصية الرجل الذى كان يجول حول (الكوخ) فى الليلتين السابقتين ، فذهب فكتور الى المحطة ودعا فاليانت الى تناول كأس من الشراب فى المشرب المقابل . وسرعان ما حلت الخمر عقال لسانه ، فقال :

- أنت ترى أن زوجتى جرنرود هى التى تبيع الخبز لسكان الضاحية وتخشى أن تفقد عملاءها اذا انطلق لسانها بالثرثرة . اما أنا فموظف فى الحكومة ومن واجبى أن أساعد العدالة .

- حسنا .. وبعد ؟

- وبعد ؟ . هاك أولا (الكاسكيت) الرمادية فقد وجدتها هذا الصباح فى صندوق القمامة أمام مسكنى ، ولا ريب أن الجانى طوح بها أثناء فراره فسقطت فيه . وتؤكد جرترود أن الرجل الذى رأته يضعها فوق رأسه والذى كان يجول فى ليليتى الثلاثاء والأربعاء حول (الكوخ) انما هو رجل يقيم فى هذه الضاحية وتحمل له الخبز كل صباح .

- ما اسمه ؟ .

- البارون مكسيم دونرى . انظر .. هل ترى ذلك المنزل الكبير الذى يقع الى اليسار على بعد خمسمائة متر ! انه يقيم فى الطابق الرابع منه مع زوجه وخادمتها العجوز ولكنهم اناس طيبون حتى لا عجب اذا لم تكن جرترود قد أخطأت حدسها .

- وكيف يعيش البارون .. هل له مورد خاص ؟

- كلا . بل هو غريق فى الديون الى ذقنه ويذهب كل يوم الى باريس فرارا من دائنيه ؟

- ومتى يعود ؟

- بقطار الساعة السادسة عادة .

- وهل عاد فى ذلك القطار يوم الاثنين الماضى ؟

ـ بلا ريب ، فانى أراه كل يوم . ولكنى لا اعرف شيئا عن الأمس اذ كنت غائبا عن المحطة .

فأخلد فكتور الى الصمت ، وكان من الميسور أن يتخيل القصة على هذا النحو : كانت مدام شاسان تعود من باريس بقطار الساعة السادسة وتجلس الى جوار الأب ليسكو الذى اعتاد العودة بهذا القطار . ولم تكن تجرؤ على التحدث الى عشيقها أمام الناس حرصا على سمعتها ، ولكنها فى ذلك اليوم وهى تحمل تلك الثروة الطائلة ، استطاعت أن تخبره بأن معها شيئا تريد أن تعهد به اليه ، وأن تعطيه الغلاف الأصفر خلسة . ولا ريب أن البارون دونرى وهو يعود فى نفس القاطرقد لمح هذه الحركة وكان قد قرأ الصحف وعرف نبأ الغلاف الأصفر ، ففهم ، ثم غادرت مدام شاسان القطار فى سان كلو بينما بقى الأب ليسكو الى جارشن فتبعه البارون دونرى حتى عرف منزله ومن ثم راح يجول حوله ليلتى الثلاثاء والأربعاء حتى اذا ما حل يوم الخميس بدأ ينفذ خطته .

ولكن هل كان الأمر بهذه السهولة حقا ؟. ومن هى تلك الحسناء ذات الشعر الذهبى التى اقترن ظهورها بالغلاف الأصفر مرتين . مرة فى السينما عندما سرق الغلاف لأول وهلة من أوديجران ، ومرة ثانية ليلة مقتل الأب ليسكو ؟

ولم ين فكتور لحظة وحدة ، فذهب الى مسكن البارون دونرى . فقادته الخادم الى حجرة استقبال متواضع حيث وافته بعد لحظة سيدة عليها مسحة من الجمال ، مكتنزة اللحم ، سألته فى تشامخ عما يرغب فقال بعد أن قدم اليها نفسه :

ـ أود أن أتحدث الى البارون دونرى بشأن بعض أشياء وقعت فى قطار الساعة السادسة يوم الاثنين الماضى .

ـ لا ريب انك تعنى سرقة الغلاف الأصفر التى قرأنا عنها فى الصحف ؟

ـ نعم ، فقد ترتب على هذه السرقة جريمة قتل وقعت فى جارسن هذه الليلة وكان ضحيتها شخص يدعى المسيو ليسكو .

ـ مسيو ليسكو ؟. اننى لم أسمع بهذا الاسم . وهل يرتاب البوليس فى شىء ؟.

ـ كلا . لا شىء حتى الآن . ولكننى كلفت بأن أجمع بعض التحريات من الأشخاص الذين استقلوا قطار الساعة السادسة من باريس الى جارسن يوم الاثنين الماضى .

ـ سوف يجيبك زوجى بنفسه عند عودته يا سيدى . فهو فى باريس الآن .

- سوف يجيبك زوجى بنفسه عند عودته يا سيدى . فهو فى باريس الآن . وانتظرت أن ينسحب المفتش .. ولكنه قال :

- هل يخرج البارون أحيانا بعد العشاء ؟

- نادرا .

- ومع ذلك فانه فى ليلتى الثلاثاء والاربعاء ...

- آما . انه خرج للنزهة حقا فى هاتين الليلتين اذ كان يشعر بصداع شديد .

- وبالأمس ؟

- لقد أخرته بعض أعماله فى باريس .

- وهل قضى الليلة هناك ؟

- كلا . بل عاد منها فى اثناء الليل .

- فى أية ساعة ؟

- الواقع اننى كنت نائمة ولكنى سمعت الساعة تدق الحادية عشرة بعد عودته بقليل .

- الحادية عشرة أى قبل وقوع الجريمة بساعتين ؟ هل أنت واثقة من ذلك يا سيدتى ؟

فأجابته البارونة فى ترفع : اننى لا أكذب قط .

- هل تبادلتما الحديث عند عودته ؟

- لا ريب .

- اذن فقد كنت مستيقظة تماما ؟

فاحمر وجه المرأة كانما تملكها الخجل فجأة ، ولم تحر جوابا . فاستطرد فكتور :

- متى خرج البارون فى هذا الصباح ؟ .

- فى الساعة السادسة . ولكن لم تسألنى هذه الاسئلة ؟

- ان ابحاثنا تقتضى مثل هذا الفضول فى بعض الاحيان يا سيدتى فمعذرة . ثم أخرج من جيبه القبعة الرمادية . وأردف : هل هذه قبعة البارونى ؟

فتأملتها البارونة ثم أجابت : نعم ، وهى قبعة قديمة لم يستعملها منذ سنين ، وكنت أضعها فى أحد الأدراج مع الثياب القديمة المهملة .

ولم يشك فكتور ، ازاء هذه الصراحة الفريدة ، ان البارونة لم تكذب قط ، والواقع ان حارسة الباب عندما سألها بعد ذلك أيدتها فيما ذكرته اذ قررت ان البارون عاد فى الساعة الحادية عشرة من المساء ثم خرج فى الساعة السادسة صباحا ، وأضافت بان احدا لم يدخل المنزل ويغادره اثناء الليل والا لرأته حتما .

ومضى فكتور تتنازعه والريب . فعلى الرغم من الأدلة التى تنهض ضد البارون ، كان من المحال ان يغفل عن دليل

النفى القاطع الذى هيأته له الظروف وهو انه وقت ارتكاب الجريمة كان فى منزله بالقرب من زوجته .

ولكنه عند ما سأل عمال المحطة عما اذا كان البـــارون دوترى قد استقل قطار الساعة السادسة صباحا الى باريس كان جوابهم جميعا : كلا . فكيف غادر جارسن اذن ؟

ومضى بعد الظهر يجمع التحريات عن البارون دوترى وأسرته فقادته ابحاثه الى صاحب المنزل الذى يســـكنه البارون ، وهو المسيو جوستاف جيروم ، عضـــو المجلس المحلى وتاجر الاخشاب المعروف وعلاقته السيئة بالبارون وزوجته موضوع حديث الضاحية بأثرها .

وكان المسيو جيروم يقطن مع زوجته بمنزل انيق فى نفس المنطقة . فلما ذهب فكتور للقـــائه وجـــد الباب مفتوحا فظل يقرع الجرس مدة طويلة ثم مالبث أن اقـــدم على الدخول . وعندئذ سمع ضجة فى الطابق العلوى ، يتخللها صوت سيدة تصيح فى غضب وانفعال :

ـ انك لست الاسكيرا فاسقا . أيها السيد جوستاف جيروم ، عضو المجلس المحلى . ما الذى كنت تصنعه ليلة الامس فى باريس أيها العربيد ؟ ..

ـ انك تعلمين يا عزيزتى أننى كنت أتعشى مع ديفـــال وبعض رجال الاعمال .

ـ رجال الاعمال أم غانيات الفـــولى برجيير ؟ أتظنننى لا اعرف ديفال هذا انه فاجر كبير .

ـ هل جننت يا هنرييت ؟ اننى اكرر القول بأنى عدت مع ديفال بالسيارة .

ـ فى اية ساعة ؟ .

ـ لست ادرى .

ـ اجل . لأنك كنت ثملا . ولكن لاريب انها كانت الساعة الثالثة او الرابعة صباحا فقد انتهزت فرصة نومى .

وتطورت المناقشة بين الزوجين الى معركة ، فاسرع السيد جيروم يهبط الدرج ووراءه زوجته واذا به يرى فكتور واقفا فى الردهة السفلى محيرا لا يدرى ما يصنعه ويقول معتذرا:

ـ لقد قرعت الجرس ولكن احدا لم يجب .. واذلك ..

فانفجر المسيو جيروم ضاحكا ، وهـــو رجـــل مرح فى الاربعين من عمره ، ومالبث ان قال : وهل سمعت ؟ . لقد كانت مناقشة عائلية . آه ! . لا بأس . فان هزييت خيـــر النساء ولكن الى من اتشرف بالحديث ؟

ـ المفتش فكتور ، من بوليس الآداب .

ـ اوه . هل هى حادثة الأب ليسكو المنكود أيضا ؟

ثم قاده الى مكتبه وهناك قال فكتور : لقد جئت لتفسر

منك عن مستأجر منزلك . البارون دوترى . فكيف الحال بينكما ؟

ـ اسوأ حال . فقد ظللت اقيم مع زوجتى فى المسكن الذى يشغله الآن زهاء عشر سنوات ومازلنا نأسف ان اجرناه له . فهو لا يكف عن المشاغبة لأسباب تافهة ، فمثلا ظل المحضرون يترددون على بانذارات شديدة بشأن المفتاح الثانى للمسكن وقد سلمته اليه منذ استأجره ولكنه يزعم العكس .. وبذلك استحكم الخلاف بيننا حتى انتهى الى عداء شديد .

ـ والى معركة ! .

ـ هل سمعت بها ؟ اجل . فقد تلقيت لكمة شديدة فى وجهى من البارونة ! ولكنها سوف تأسف عليها ، ثم انه كثير المماطلة لا يدفع الايجار فى مواعيده ولعلك لا تعلم انه سبق ان اشهر افلاسه فى جرينوبل وذاعت قصص كثيرة عن احتياله فى ليون ،وعلى العموم فان له ماضيا مثقلا بالفضائح والمخازى .

وانصرف فكتور بعد قليل وما كان يغلق الباب خلفه حتى سمع صوت مدام جيروم تبدأ من جديد : اين كنت ايها الكاذب الوقح ؟ الا تخبرنى اين امضيت الليلة !

(★)

وذهب الى المحطة واتخذ مجلسه فى المقهى المقابل لها . وبعد قليل جىء فاله برجل وسيدة من سكان جارسن قدما للتو من باريس وراحا يؤكدان انهما رأيا البارون دوترى بالقرب من محطة الشمال بباريس فى احدى سيارات الأجرة مع سيدة شابة كما لاحظا وجود حقيبتين كبيرتين الى جانب السائق .

ولم يدر فكتور هل يصدق هذه الشهادة ام يضعها موضع الشك ولكنه مالبث ان قال لنفسه : سوف نعلم الحقيقة بعد قليل . فاما ان يكون البارون قد فر الى بلجيكا ومعه السندات المسروقة ، وتكون رفيقته هى الغادة الشقراء التى فاجأتها تهبط من نافذة الأب ليسكو ، واما أن يكون الشاهدان واهمين فيما يزعمان ويعود البارون من باريس فى قطاره المعتاد . وبذا تكون شكوكنا رغم هذه الظواهر جميعا على غير اساس .

ومضى الى المحطة حيث وجد فاليانت واقفا بالقرب من باب الخروج فدنا منه ووقف بجواره فى انتظار وصول القطار حتى اذا ما هبط منه المسافرون وكزه فاليانت بذراعه وهو يقول فى صوت خافت : اترى هذا السيد ذا المعطف الرمادى والقبعة الرخوة ؟ انه البارون دوترى .

ولم ير فكتور فى مظهر الرجل ما يريب . فقد كان الهدوء الذى يكسو اساريره لا يدل بحال من الاحوال على انه رجل ارتكب جريمة قتل فى الليلة الماضية . اذ كان يسـير فى خطوة طبيعية ، وحيا عامل المحطة بايماءة من رأسـه ، ثم عرج الى اليسار نحو مسكنه وهو يمسك باحدى صحف المساء وبحركها فى يده فى غيرا اكتراث

وتبعه فكتور من كثب حتى اذا ما ارتقى الـدرج وهـم باخراج المفتاح قال له :

- البارون دوترى . فيما اظن .

- ماذا تريد ياسيدى ؟!

- بضع دقائق من وقتك . اننى المفتش فكتور من بوليس الآداب .

فأجفل البارون وتقلص فكاه . ولكن ذلك لم يدم اكثر من لحظة خاطفة استعاد هدوءه بعدها ثم ان اجفاله هذا قد لا يدل على شىء فهو الأثر الطبيعى الذى تحـدثه زيارة مفاجئة من رجال البوليس فى نفوس أولئك الأطهار الذين لا تربطهم بالقانون والجرائم اية صلة .

وكانت مدام دوترى جالسة تطرز بالقـرب من النافذة فما ان رأت زوجها ومعه فكتور حتى نهضت دفعة واحـدة وعندئذ قال البارون : دعينا على انفراد يا جبرييل .

فقال فكتور : لقد قابلت البارونة هذا الصباح ولن يضايقنا وجودها فى شىء .

فلم يبد على البارون اثر للضيق او الحرج وانما اشـار الى فكتور بالجلوس وهو يقول :

- لقد قرأت اسمك فى هذه الصحيفة يا سيدى لمناسـبة التحقيق الذى تقوم به . ولا ريب انك تريد ان تسألنى بصفتى مشتركا فى الخط واستقل قطار الساعة السـادسة دائما . فدعنى اقول لك اننى لا اذكر الأشخاص الذين جلست معهم فى ذلك القطار يوم الاثنين الماضى ولم ار شيئا مريبـا او غلافا اصفر .

فتدخلت مدام دوترى قائلة :

- ان المفتش يذهب الى ابعد من ذلك يامكسيم . فهـو يريد ان يعرف ابن كنت تلك الليلة بينما كانت جريمة قتـل ترتكب فى جارسن ؟

فانتفض البارون قائلا : ما معنى ذلك ؟

فقدم له فكتور « الكاسكت » الرمادية وقال : هـذه هى القبعة التى كان القاتل يرتديها ، والقى بها فى مكان قريب من هنا . وقد فهمت من مدام دوترى انها تخصك .

- تعنى انهـا كانت تخصنى ؟ فهى قبعه اهملتها منـذ منذ سنوات وكنت اضعها فى احد الدواليب . اليس كـذلك ياجبرييل ؟

ـ بلى ، وقد رأيتها بنفسى منذ أسبوعين فى موضعها .

ـ ولكنى أخذتها منذ أسبوع فألقيت بها فى أحد صناديق القمامة ، ولا ريب ان احد المتشردين قد عثر عليها واخذها . وماذا ايضا يا سيدى المفتش ؟

ـ لقد رؤى الرجل الذى يرتدى هذه القبعة يتجول بالقرب من كوخ الأب ليسكو فى ليلتى الثلاثاء والاربعاء ، وقد خرجت فى هاتين الليلتين .

ـ نعم ، فقد اصبت وخرجت للنزهة ، ولكنى لم اذهب الى تلك الجهة ، وانما سرت فى طريق سان كلو .

ـ هل رآك احد ؟

ـ ربما . فلم انتبه الى ذلك .

ـ ومتى عدت الى المنزل فى الليلة الماضية ؟

ـ فى الساعة الحادية عشرة ، اذ تناولت العشاء فى باريس ، وكانت زوجتى نائمة .

ـ ولكنها تقرر انكما تبادلتما بعض كلمات .

ـ وهل تظنين ذلك يا جبرييل . اننى لا اذكر شيئا الآن .

ـ نعم . نعم . هلا تذكرين ماحدث . لست ارى محلا للخجل فى القول بانك قبلتنى . ولكن لماذا يكثر هذا السيد من اسئلته .

ـ انه يؤدى واجبه ياجبرييل ، ومن واجبى أن أقدم له

كل معونة ممكنة أتود أن أذكر لك موعد رحيلى هذا الصباح ياسيدى المفتش ؟ . لقد كانت الساعة حوالى السادسة .

ـ وهل سافرت فى القطار ؟

ـ بلاشك .

ـ ولكنهم لم يروك فى المحطة ؟

ـ ذلك أننى لم الحق بهذا القطار فمضيت الى المحطة التالية سيرا على الاقدام حتى اقطع الوقت الى حين موعد القطار التالى .

ـ هل يعرفك احد فى تلك المحطة ؟

ـ لا أظن ذلك .

وكان اجابته سريعة حاسمة لا تردد فيها ولا اضطراب ، ولم يجد فكتور ثغرة يتسرب منها الشك . فما لبث أن قال وهو يهم بالنهوض : هل لك أن تقابلنى غدا فى باريس ياسيدى البارون حتى نرى الاشخاص الذين تناولت معهم طعام العشاء بالامس ، وأولئك الذين قابلتهم اليوم . وما كاد يفرغ من هذا السؤال حتى نهضت مدام دوتري واقفة وهى تمد يدها نحوه وقد توهجت عيناها وتصاعدت الدماء الى وجهها ، فذكر فكتور اللكمة التى أصابت وجه المسيو جيروم المسكين واوشك ان ينفجر مقهقها ، ولكن المرأة مالبثت ان ارخت يدها وغادرت الحجرة وهى تنتفض غضبا .

ووقف الرجلان متقابلين وكل منهما يصعد الآخر بنظراته . وعندئذ ادرك فيكتور لدهشه ان الرجل كان يضع على وجنتيه طبقة من الطلاء الأحمر ، كما تفعل النساء ، كى يخفى امتقاعه ولا ريب ، وان عينيه تحيط بهما هالتان سوداوان ، كما برزت الغضون على جانبى فمه .

وظل البارون صامتا برهة ثم قال فى اسى :

ـ انك تتبع طريقا خاطئا ياسيدى المفتش ، ومن سوء الحظ انه يتغلغل فى صميم حياتى الخاصة ويضطرنى الى اعتراف يشق على نفسى ان ابوح به الى اى انسان . فالواقع اننى رغم حبى لزوجتى واحترامى لها ، قد اتخذت لنفسى عشيقة فى باريس منذ بضعة شهور ، وهى التى تناولت العشاء معها بالامس وأوصلتنى بنفسها الى محطة سان لازار . ثم قابلتها اليوم منذ الساعة السابعة صباحا .

ـ سوف احضر فى الصباح لآخذك معى فى السيارة حتى نذهب اليها معا . فتردد البارون لحظة . ثم هز رأسه قائلا: لا بأس .

وتركت هذه المحادثة أثرا عميقا من التردد فى نفس فكتور وجعلته بتراوح بين الشك واليقين ، ولكنه من قبل الحيطة أمر احد رجال الشرطة بأن يراقب مسكن البارون طول الليل .

الفصل الثالث

ولم يحدث خلال الليل ما يريب ، ولكن فكتور لاحظ وهو يجلس بجوار البارون فى السيارة وهما فى طريقهما الى باريس ، ان وجه الرجل كان شديد الامتقاع ، وان عينيه الذابلتين تنمان على ليلة مهددة لم يذق للنوم طعما خلالها

وما كادا يصلان الى باريس حتى سأله فكتور : أين مسكن صديقتك ؟

ـ فى شارع فوجيرار بالقرب من حديقة لوكسمبورج ـ وما اسمها ؟

ـ أليز ماسون . وكانت من راقصات الفولى برجيير ثم فقدت مركزها على أثر مرض ألم بصدرها ، فأخذتنى الشفقة بها ، وتوليت الانفاق عليها .

ـ لا ريب انها كلفتك كثيرا .

ـ لا ، ليس بالكثير . ولكنى غدوت قليل الاهتمام بأعمالى الآن .

ـ لدرجة انك لا تدفع ايجار مسكنك ! . ليس كذلك . ؟

فلم يحر البارون جوابا ، بينما راح فكتور يفكر فى تلك المرأة وقد تملكه فضول غريب . ترى هل هى غادة السينما، وقاتلة الأب ليسكو ؟!

وأخيرا وصلا الى شارع فوجيرار فصعدا الى مسكن صغير بالطابق الثالث من مبنى عتيق الطراز وما ان قرع البارون الباب حتى فتحته امرأة شابة بادية النحول ادرك فكتور لأول وهلة انها ليست ضالته المنشودة .

وهتفت بصديقها :

- هذا انت أخيرا ؟ . ولكن . من هذا ؟ هل هو احد معارفك ؟

- كلا يا عزيزتى . فان السيد من رجال الشرطة وهو يقوم بالتحقيق فى قضية سندات الدفاع الوطنى التى شاءت الصدف التعسة أن تقحمنى فيها .

فقادتهما الفتاة الى حجرة صغيرة وافرة الضوء ، فاستطاع فكتور ان يتأملها واذا بشحوب وجهها ينم على سوء صحتها ، وتحيط بعينيها الزرقاوين الواسعتين هالات داكنة ، وقد برزت وجناتها وتهدلت خصلات شعرها فى غير عناية او تنسيق ، كما احاطت عنقها بمنديل كبير برتقالى اللون ذى خطوط خضر وسألها فكتور : هل رأيت البارون أمس الأول ، أى يوم الخميس ؟ .

- الخميس . دعنى افكر قليلا . أجل . لقد تناولنا الغداء والعشاء معا ثم أوصلته الى المحطة .

- وأمس ؟

- لقد كان هنا منذ الساعة السابعة صباحا حتى الرابعة بعد الظهر .

واستشف فكتور من اجابتها انها تلقى بعبارات حفظتها عن ظهر قلب ، فاعرض عنها وراح يجيل نظراته فى انحاء المسكن حتى استقرت على مشجب فى احد الأركان ، تتدلى منه الثياب . فسار نحوه وما كاد يزيحها بيده حتى لاحت لعينيه حقيبتان كبيرتان يدل مظهرهما على انهما ممتلئتان وفى تلك اللحظة أدار رأسه بغتة فاذا به يفاجىء نظرة ذات مغزى يتبادلها البارون وعشيقته . وعندئذ تحول يفتح الحقيبتين ليجد بداخلهما أكداسا من الثياب ، للرجال والنساء على السواء وأدوات الزينة ومعدات السفر . . فانثنى قائلا : هل كنتما تزمعان الرحيل ؟

فدنا البارون منه وقد لاحت فى عينيه نظرة تفيض حنقا ، واجاب بصوت متهدج : من الذى سمح لك بهذا التفتيش . وباى حق . هل لديك اذن بذلك ؟

واشتم فكتور رائحة الخطر اذاء هذا الرجل الذى تبدو فى نظراته الرغبة فى القتل ، فدس يده فى جيبه وأمسك بمسدسه ، ثم واجهه قائلا : لقد شوهدتما بالامس بالقرب من محطة الشمال ومعكما هذه الحقائب .

- هراء والا ما رأيتنا هنا الآن . ولكن بماذا تتهمنى . بسرقة الغلاف الاصفر ، أم ..

وتمهل قليلا ثم استطرد وهو يصر على اسنانه : أم بقتل الأب ليسكو ؟

فصاحت اليزماسون فى دهشة حقيقية : ماذا ٠٠ هل يتهمك بالقتل ؟

ـ لعمرى لست أرى ما يعنيه تماما ٠٠ ولكنى لا اظنك جادا فى ريبتك يا سيدى المفتش وقد سألت زوجتى بالأمس واجابتك ٠٠

وضحك البارون ضحكة مغتصبة كأنما رأى السلامة فى المسألة ، واستطرد :

ـ ان هاتين الحقيبتين يا سيدى المفتش ، موضوعتان فى مكانهما هذا منذ عدة اسابيع اذ كنا نرجو ان تقوم برحلة الى الجنوب للاستشفاء ، ولكن الظروف لم تساعدنا على تحقيق هذا الرجاء ٠

وكان فكتور قد استقر عزمه على أن يقود البارون الى ادارة الشرطة حيث يتفق مع رؤسائه على اجراء تفتيش عاجل واسع النطاق ، حتى اذا ما كانت سندات الدفاع الوطنى لدى البارون أو عشيقته أمكن العثور عليها قبل أن تفلت مرة أخرى ٠

فقال للمرأة : سوف تنتظرينى هنا حتى أعود ٠

ثم أشار الى الباب والتفت الى البارون قائلا : أما أنت يا سيدى فسوف تأتى معى ٠

وكان يتكلم فى لهجة حاسمة لم يجد البارون ازاءها الا

أن يستسلم للأمر الواقع ، فمضى يهبط الدرج أمامه حتى استقر فى المقعد الخلفى للسيارة ٠٠ وسار فكتور الى الشرطى الذى ينظم حركة المرور بالقرب من المنزل وعرفه بنفسه وطلب اليه أن يراقب السيارة والرجل الجالس فيها ريثما يتصل بادارة الشرطة تليفونيا ٠٠ ثم ولج حانوتا للنبيذ فى الطابق الأسفل من المنزل ، كان التليفون فى حجرة خلفية منه ، واستطاع بعد فترة طويلة أن يتصل بالادارة فعلم من محدثه أنهم يبحثون عنه لرغبة المدير فى رؤيته ، فوعده بالحضور ثم طلب اليه أن يبعث اليه برجلين عند نهاية شارع فوجيرار وأن يتحرى فى نفس الوقت من ادارة تحقيق الشخصية عما اذا كان لديها أية معلومات عن اليزامسون ، الراقصة السابقة بالفولى برجيير ٠

وبعد خمس عشر دقيقة جاء رجلا البوليس فأمرهما فكتور بمراقبة المنزل والحيلولة دون فرار اليزماسون ـ بعد أن وصفها لهم وصفا دقيقا ٠٠ ثم صحب البارون الى ادارة الشرطة وعهد به الى زملائه ٠ وبعد ذلك مضى الى لقاء المدير ٠

ولقيه مسيو جوتييه ـ وكان معه المفتش موليون أحد رؤساء فكتور المباشرين ـ صاخبا اذ ظل يومين مختفيا عن الأنظار دون أن يتصل بالادارة أو بأحد زملائه ٠ ٠ وبذلك كان شرطة سان كلو يمضون فى أبحاثهم من ناحية

ومفتشو ادارة الشرطة بباريس من ناحية أخرى ، وفكتور من ناحيـــة ثالثـة · دون أى صلة بينهم أو خطـة موحدة للعمل على هداها ·

قال فكتور فى هدوء : هل يرى سيدى المدير أن التحقيق فى قضية سرقة السندات ومقتل الأب ليسكو لا يسير وفق هواه ؟

ـ وأنت · هل أنت راض عنه ؟

ـ لا بأس ·· ولكننى أعترف أنها لا تستحق اهتماما خاصا اذ أن الجناة فيهـا من مجرمى الدرجة الثالثـة ، يتخبطون فى الأخطاء السخيفة ، وليس أمامنا خصم قوى يؤبه له ·

ـ اذن دعك منها ·· فان موليون ، رغم أنه لا يعرف أرسين لوبين ولم يره قط ، فقد سبق له أن عمل فى قضاياه وعرف أساليبه ·· وهو خير من ··

فاقترب فكتـور من المدير وعلى محيـاه دلائل القلق ، وقاطعه قائلا :

ـ ماذا تقول يا سيدى المدير !· أرسين لوبين ! هـل لديك أى دليل على اشتراكه فى هذا الحادث ؟·

ـ وأى دليل !· الا تعلم انه كان فى ستراسبورج ، وكاد يقع فى قبضة رجالنا لولا أنه استطاع الافلات فى اللحظة الأخيرة ! وان ذلك الغلاف الأصفر الذى أودع فى البنك ولم يحرص المدير عليه جيدا فاتيحت لأوديجران فرصة سرقته انما كان قبل ذلك فى خزانة الرجل الذى يمـلك هذه السندات التسعة ، وهو من أصحاب المصانع هناك

ووجدت خزانته محطمة فى الليلة التالية لايداع السندات فى البنك !· فمن الذى حطمها ! انه أرسين لوبين نفسه ·· فقد عثرنا بعد ذلك على بقايا خطاب بخطه ·

ـ بخط أرسين لوبين !

ـ نعم ·· وهو موجه الى امرأة لا ريب انها عشيقته ويقول لها فيه :

« انى على يقـين من أن السـندات التى أخفقت فى الحصول عليها قد سرقها مستخدم فى البنك المركزى يدعى الفونس أوديجران ·· فاذا وجدت فى هذه المهمة تسلية لك فانى أرجو أن تبحثى عن هذا الشخص فى باريس لحين عودتى يوم الأحـد القادم ، ولو أن هذه المسـألة لا تهمنى كثيرا بقـدر الصفقة الأخـرى التى تعرفينها · الصفقة التى ستحصل منها على عشرة ملايين من الفرنكات فهى وحدها التى تستحق العناء ·· »

فغمغم فكتور : والتوقيع !·· ما هو التوقيع ؟! ·

ـ التوقيع (ا · ل ·) أما يوم الأحد الذى يشير اليه فهو اليوم الذى كنت فيـه فى سينما بلتـازار حيث كان أوديجران وصديقته أرنستين ··

ـ لقد كانت هناك امرأة أخرى ·· امرأة رائعة الحسن يا سيدى المدير ، ولا ريب انها كانت تراقب أوديجران ·· وهى نفسها التى رأيتها تقفز من نافذة الأب ليسكو ·

وراح فكتور يذرع الحجرة جيئة وذهابا وقد تزايد قلقه

وانفعاله ، على الرغم مما عرف به من الهدوء والرزانة . وأخيرا وقف أمام المدير قائلا :

- ما دام الأمر يتعلق بهذا اللعين فلن اتخلى عن القضية ..

- هل تمقته الى هذا الحد ؟!

أنا .. اننى لم أره قط ، كما انه لا يعرف شيئا عنى . ولكن ذلك لا يمنع من أن بيننا حسابا يجب تصفيته . ولكن دعنا من ذلك الآن .

ثم قص عليهما ما قام به فى اليومين الماضيين ومقابلته للبارون وزوجته وجيروم واليزماسون التى اتضح من البحث الذى أجراه فى ادارة تحقيق الشخصية انها انما انما فصلت من الفولى برجيير للشك فى أنها مرتكبة بعض حوادث السرقات التى وقعت هناك .

وبعد صمت قصير سأل المدير المفتش موليون عن رأيه فأجاب فى تحفظ :

- انها نتيجة لا بأس بها وان كانت تحتاج الى تمحيص .. وأرجو أن تسمح لى بأن أتولى استجواب البارون بنفسى .

فقال فكتور بهدوئه المعتاد :

- يمكنك أن تقوم باستجوابه بمفردك . أما أنا فسأنتظرك فى السيارة .

ثم غادرهما بعد أن تواعدوا على اللقاء فى المساء ثانية للنظر فيما وصل اليه التحقيق .

وانتظر فكتور فى السيارة زهاء الساعة قبل أن يأتى موليون ومعه البارون ، وقد لاح الغيظ فى وجه المفتش وهو يقول : لا فائدة من استجواب هذا الوغد ! ..

- هل نذهب لرؤية اليزماسون ؟

- ان رجالنا يراقبونها وسيفتشون مسكنها بعد قليل . ولكن هناك ما هو أدعى الى الاهتمام والعجلة .

- ما هو ؟

- ما الذى كان يفعله السيد جوستاف جيروم وقت ارتكاب الجريمة ؟.

- هذا هو السؤال الذى ما فتئت امرأته تسأله اياه والذى أحب أن أطرحه على صديقه فليكس ديفال الذى كان معه فى باريس .

فهز فكتور كتفيه فى غير اكتراث وما لبثت السيارة ان درجت بهما فى طريق جارسن ومعهما البارون وأحد المفتشين . وهناك وجدا فليكس ديفال فى مكتبه ، وهو عملاق عريض المنكبين ذولحية منمقة ، وما أن قدما نفسيهما اليه حتى صاح ضاحكا :

- ما الذى دهى صديقه جيروم ؟ اننى منذ الصباح أتلقى الأسئلة عن الساعة التى عاد فيها الى منزله ليلة الخميس من زوجته ثم من الصحفيين ؟

- وبماذا أجبت ؟

- الحقيقة طبعا . وهى انه فارقنى أمام منزلى فى الساعة العاشرة والنصف .

- ولكن زوجته تزعم انه لم يعد الا قبيل الفجر .

- أعرف ذلك ، فهى لم تكف عن الصياح فى وجهه منذ الأمس :

« ماذا كنت تفعل منذ الساعة العاشرة والنصف ؟ وأين كنت ؟ » . حتى علم الناس جميعا أن جروم لم يكن فى بيته ساعة ارتكاب الجريمة ، وغدا موضع الريبة .

- هل كان صديقك ثملا ؟ !

- الواقع انه كان كذلك ، وقد أصر على أن أصحبه الى الحانة التى فى طرف الشارع اذ أنها لا تغلق أبوابها الا فى منتصف الليل ولكنى اعتذرت .

وانصرف المفتشان من لدنه فذهبا الى الحانة حيث علم أن المسيو جوستاف جيروم مر بها حقا وتناول كأس من الشراب بعد الساعة العاشرة والنصف بقليل ، وبذا كان من المحتم معرفة ما فعله المسيو جيروم بين تلك الساعة ومطلع الفجر ، فذهب موليون وفكتور والبارون دونرى الى داره وتركاه تحت الحراسة ثم مضيا للقاء جوستاف جيروم ولكنهما لم يجداه أو زوجته فى منزلهما . فعادا الى المقهى المقابل للمحطة ليتناولا شيئا من الطعام ، واذا بأحد الشرطيين الذين تركهما فكتور فى حراسة منزل اليزماسون يحضر على دراجة بخارية فهتف به فكتور :

- ماذا حدث ؟

- لقد قتلت .. وجدت مخنوقة فى فراشها .

- من ؟ ! - اليزماسون .

« ★ »

وكان موليون سريع الهياج فما كاد يشعر أنه أخطأ اذ أبى الاصغاء لرأى فكتور بان يبدأ تحرياتى فى شارع فوجيرار حتى تملكه غضب جارف لم ير من يصبه عليه سوى البارون دونرى فصحب فكتور وذهب الى منزله .

وكان يذرع الحجرة أمام الزوجين فى انفعال شديد وهو يهدر :

- لقد قتلوها ، فلماذا لم تنذرنا بالخطر الذى كان يتهدد المسكينة ، واذا كانت قد قتلت فمعنى ذلك انك كنت تخفى السندات عندها وان القتلة كانوا على علم بذلك . فمن هم ؟ ألا تستطيع الآن أن ترشدنا الى شىء . تكلم . نعم أم لا ؟ من الذى قتل عشيقتك ؟ !

واذا كان المفتش موليون قد رجا من وراء هذه اللهجة الصاخبة أن يحدث أثرا فى نفس البارون فقد خاب فأله اذ ظل الرجل مشدوها جاحظ العينين يحملق فى المفتش كأنه لا يفهم ما يقوله ، ولكن الأثر الذى أحدثته هذه الكلمات بدا جليا فى مدام دونرى ، اذ نهضت من مقعدها بغتة ووقفت أمام زوجها صائحة : هل كانت لك عشيقة . أنت يا مكسيم . ويلاه !. اذن فهذا سبب ذهابك كل يوم الى باريس .

فغمغم البارون :

- سامحينى يا جبرييل . فلست أدرى كيف حدث ذلك . انها قد ماتت .

فرسمت المرأة علامة الصليب على صدرها بينما استطرد البارون :

ـ ان الأحداث التى تمر بى منذ يومين هائلة مروعة ولست أفهم شيئا منها . اننى فريسة كابوس مروع فلماذا يعذبوننى هكذا ولماذا يريد هؤلاء السادة أن يقبضوا على ؟

فانتفضت امرأته وصاحت : يقبضون عليك . هل جننت . لماذا ؟

ثم التفتت الى الرجلين تقول لهما فى ضراعة :

ـ كلا . كلا . أقسم لكما انه برىء . لقد كان معى ساعة مقتل الأب ليسكو . وقد قبلنى ثم اننى . ثم اننى كنت احيطه بذراعى . أجل . فكيف يمكن أن .. أواه .! هذا محال

وعندئذ تهدج صوتها وما لبثت أن انخرطت فى بكاء مرير . كما تدفقت الدموع من عينى مكسيم دونرى بدوره .

فقال لهما موليون : حذار من مغادرة مسكنكما حتى صباح الغد . هل فهمتما . وسوف أترك بعض الرجال لحراسة الأبواب ، فلا تحاولا الفرار والا فلا تلوما الا نفسيكما .

ثم جذب فكتور من ذراعه ، وبعد قليل كانا فى مسكن اليزماسون . وهذه هى الوقائع كما قيلت لفكتور ، وكما لاحظها بنفسه :

فى الساعة الواحدة وصل رجال البوليس المكلفون

بالتفتيش وراحوا يقرعون الباب على غير جدوى . فلما أخبرهم الشرطيان اللذان تركهما فكتور أمام باب المنزل ان اليزماسون لم تغادر مسكنها اقتحموا بابها . فاذا بها طريحة فوق الفراش وقد تدلى رأسها منه وتقصلت يداها من أثر المقاومة ، كما لم يعثر على سلاح من أى نوع ، ولم يكن مظهر الحجرة يدل على أثر للنضال أو العنف ، وقد قرر الطبيب الشرعى أنها قتلت خنقا بشىء لين ، مثل منشفة أو منديل .

وعندئذ لاحظ فكتور اختفاء المنديل البرتقالى ذى الخطوط الخضر الذى كانت المجنى عليها تحيط به عنقها ، فسأل الحاضرين عنه ولكن تبين أن أحدا لم يره .

ومن الغريب أن الأدراج لم يعبث بها ، كما أن الحقيبتين ظلتا على حالهما لم تفتحا . فاستشف فكتور من ذلك أن القاتل لم يحاول البحث عن السندات المسروقة . أو انه كان يعلم من بادىء الأمر بأنها ليست موجودة فى السكن .

ولم تستطع حارسة الباب أن تدلى بشىء يفيد التحقيق ، لكثرة مساكن المنزل وتعدد الداخلين والخارجين فى هذه الساعة من النهار . ولكن أحد القاطنين فى الطابق الرابع شهد بأنه قابل فى الدرج قبيل الظهر ، بين الطابقين الثانى والثالث امرأة تهبط فى عجلة ، وكانت ترتدى ثيابا بسيطة وتحيط رأسها بنقاب رقيق كانما تحاول أن تخفى شخصيتها .

وتبين من الفحص الطبى أن الموت حدث قبيل الظهر ..
كما تبين أنه لا توجد أية آثار لبصمات الأصابع ، مما يدل على أن الجانى كان يرتدى قفازات فى يديه .

وظل فكتور قابعا فى أحد الأركان يرقب ما يدور حوله بعينين ملؤها اليقظة والانتباه . فرأى أحد رجال الشرطة أثناء التفتيش يمسك باحدى علب السجاير القديمة الفارغة ويفرغ محتوياتها ، وكانت عبارة عن صورة فوتوغرافية قديمة العهد ، مما يلتقطه الهواة ، وتمثل اليزماسون بين زميلاتها راقصات الفولى برجيير أو مع فتيان من أصدقائها .

وأخذ فكتور العلبة وراح يفحصها مليا ، واذ به يجد قاعها مغطى بورقة ما كاد يرفعها حتى عثر على صورة أخرى . ولكنها لم تكن تمثل اليزماسون .

فقد كانت صورة غادة سينما بلتازار الشقراء .

وعندئذ وضع العلبة بمحتويتها فى جيبه . دون أن يقول شيئا .

★ ★ ★

الفصل الرابع

وفى تلك الليلة عقد فى مكتب قاضى التحقيق اجتماع حضره مدير الأمن العام بنفسه كما حضره مدير البوليس والمفتش موليون وفكتور . فان قضية سندات الدفاع الوطنى التى انتهت مرتين الى جريمة قتل ، قد أثارت الرأى العام ، وجعلت الصحف تنادى فى لهجة شديدة بوجوب العمل سريعا على الاهتداء الى الجناة . وبين ذلك كله كان أرسين لوبين ينبعث وسط الغموض الذى يحيط بالقضية ، دون أن يبدد هذا الغموض أو يلقى ضوءا على الجرائم التى ارتكبت ، وهو الرجل الذى اشتهر بأنه ما سفك دما قط .

ولكن كيف يتأتى لرجال البوليس أن يبددوا هذه الظلمات التى تزداد يوما بعد يوم ؟ وما الذى يستطيعون أمام هذه الأدلة المتعارضة التى يناقض بعضها بعضا ؟

فلم يثبت بطريقة قاطعة أن ثمت علاقة بين سرقة السندات ومقتل الأب ليسكو . واذا كان الفونس أوديجران وصديقته أرنستين قد اعترفا بدورهما فى هذه القضية الا أن مدام شاسان أصرت على الانكار والاحتجاج الشديد ولم يستطع أحد أن يقيم دليلا واحدا على أن الغلاف الأصفر قد انتقل الى الأب ليسكو عن طريقها . ومن ثم كانت الشبهات التى تحيط بالبارون دوترى رغم قوة أسبابها ، لا تكفى لاثبات الباعث له على هذه الجريمة .

وأراد المفتش موليون أن يدفع فكتور الى الكلام ، بحجة أنه هو الذى بدأ يوم الأحد فى سينما بلتازار ، لينتهى اليوم أمام جثة اليزماسون ، فهو وحده الذى يستطيع أن يكون رأيا عن الصلة التى تربط بين الحوادث التى تخللت ذلك .

ولكن فكتور لم يقل شيئا . واكتفى بهز كتفيه فى غير اكتراث ، وبذلك انفض الاجتماع على غير نتيجة حاسمة .

وفى يوم التالى دعا فكتور اليه شرطيا سابقا يدعى لارمونا كان ساعده الأيمن قبل أن يحال الى المعاش ـ وظل يتردد على ادارة البوليس بعد ذلك فيعهد اليه المفتشون بمساعدتهم فى أبحاثهم ـ فطلب اليه أن يتحرى عن حياة اليزماسون وعلاقاتها السابقة ثم ذهب الى جارسن ليشترك مع قاضى التحقيق فى تمثيل جريمة مقتل الأب ليسكو .

واستحضر البارون وزوجته . واذ بالمرأة تبدو وقد تورمت احدى عينيها وامتلأ وجهها بالكدمات والرضوض ، فلما سألها فكتور عما دهاها لم تحر جوابا . ولكن خادمتها العجوز صاحت فى حنق :

ـ انه هو الذى فعل بها ذلك أيها المفتش .

فقد انقض عليها هذا الصباح فجاة وانهال فوقها ضربا ولكما حتى كادت تهلك بين يديه لولا أن أسرعت الى تخليصها من براثنه .

وكان البارون بادى الهدوء كرجل لا يثقل ضميره شىء ، كما أن زوجته كانت ترمقه بنظرات العطف ، رغم ما فعله بها ، وفسرت ذلك بأنه انما فقد صوابه بغتة بسبب الأهوال التى رآها فى بضعة الأيام الأخيرة .

وسألها فكتور :

ـ هل ما زلت مصرة على انه عاد الى المنزل فى الساعة الحادية عشرة ؟

ـ أجل .

ـ حسنا .. ولكن هل أنت على يقين من أنه لم يتسلل من جانبك بعد ذلك ؟

ـ كلا .. لقد ظل معى طول الليل ؟

ـ وعلى أى شىء تبنين اقتناعك هذا ؟

ـ لقد كنت أحيطه بذراعى ، ولو تحرك لاستيقظت .. ثم انه ..

ـ وماذا ؟

ـ لقد استيقظت بعد ساعة واحدة وقلت له :

« أتذكر أن اليوم هو موعد زواجنا ؟ وعندئذ . . قبلنى مرة أخرى و .. »

وغضت المرأة من طرفها وقد تورد وجها حياء حتى جهد قاضى التحقيق فى اخفاء ابتسامته .. ولكن ألا يحتمل أن تكون ممثلة بارعة ؟

ولم ينته التحقيق الى نتيجة وكاد فكتور ينصرف لولا

أن رأى المفتش موليون يقدم فجأة بسيارة من باريس ، ويختلى بالمحققين ليقول لهم فى انفعال :

ـ لقد جدت ثلاثة أشياء بالغة الأهمية .

أولها انه عثر هذا الصباح على السلم المعدنى الذى استعمله الجناة ، ملقى فى حديقة منزل مهجور فى الطريق المؤدى الى باريس ، ويبدو أنهم ألقوا به أثناء فرارهم . وقد استطعت اسم معرفة بائعه ، وتبين ان الذى ابتاعه منه امرأة توافق أوصافها المرأة التى رؤيت تهبط الدرج فى منزل اليزماسون .

والثانى أن أحد سائقى سيارات الأجرة تقدم الى ادارة البوليس وذكر انه فى الساعة الخامسة من مساء يوم الجمعة ، أى غداة مصرع الأب ليسكو ، كان يقف بالقرب من اللوكسمبورج عندما تقدم اليه رجل وامرأة يحمل كل منهما حقيبة فى يده وطلبا اليه أن يحملهما الى محطة الشمال .. ولما كانا متقدمين عن موعد القطار فقد ظلا فى السيارة بجوار المحطة زهاء الساعة ، ثم ابتاعا احدى الصحف المسائية ، وبعد ذلك غادر الرجل السيارة وعادت المرأة ومعها الحقيبتان الى اللكسمبورج بالقرب من شارع فوجيرار .. وأما أوصافهما فهى بعينها أوصاف البارون دوترى وعشيقته .. ومعنى ذلك أن البارون عدل فى اللحظة الأخيرة لأمر لا ندرى كنهه بعد ، عن الفرار وأعاد عشيقته الى منزلها ثم استقل سيارة أخرى سوف نعثر عليها

يوما ما ، وذهب الى محطة سان لازار ليعود الى جارسن بقطار الساعة السادسة .

وأما الثالث فهو أن شخصا مجهولا اتصل بنا تليفونيا وقال اننا لو مضينا فى التحقيق الى مداه لعلمنا ما الذى فعله المسيو جيروم بعد أن انصرف من الحانة فى الساعة الحادية عشرة الا قليلا ليلة الجريمة .. واننا نعثر على ما يفيد التحقيق اذا فتشنا أدراج مكتبه الخاص .

★ ★ ★

وأسرع موليون وفكتور الى مكتب مسيو جيروم عضو المجلس المحلى . فقابلهما فى عاصفة من الهياج وهو يحتج على هذه المهزلة التى تضر بسمعته وعمله ، ولكن موليون طلب اليه فى هدوء أن يفتح أدراج مكتبه ، واذا بداخل أحدها كيس من القماش به مسحوق أبيض ، صاح موليون لدى رؤيته : من أين لك هذا انه مسحوق الاستركنين ، وقد قتل كلب الأب ليسكو بهذا السم ؟

ـ وما شأنى بذلك ؟. اننى ابتاعه خصيصا لقتل الحشرات فى ضيعتى ، ولست الوحيد الذى أستطيع الحصول عليه..

واستمر موليون فى التفتيش واذا به يجد فى درج آخر مسدسا أوتوماتيكيا من عيار سبعة مليمترات تنقصه رصاصتان ويبدو أنه قريب العهد بالاطلاق .

وظل جيروم مبهوتا لحظة ثم قال : ان ذلك كله لا يعنى

شيئا يا سيدى المفتش ولو شئت لاستطعت أن تجد عشرين دليلا من هذا القبيل ضدى ، ولكننى لو كنت قاتلا حقـا لمـا وجدت هـذه الأشـياء فى مكتبى اذ اننى لست من البلاهة بحيث أحتفظ بها • وثمة شيء آخر هو ان البستانى الذى يعمل عندى يقيم على بعد خطوات من (الجاراج) قد أكد لى اليوم اننى عدت فى تلك الليلة حوالى الساعة الحادية عشرة •

فلما سأل البستانى فى ذلك ذكر أن سيده انما عاد حوالى الواحدة والنصف فانفجر جـيروم يسبه ويدفعه بكلتا يديه ثم استدار للمفتش قائلا :

ـ اننى لن أقول شيئا آخر •• فاصنع ما يحلو لك •

★ ★ ★

وفى تلك الليلة ألقى موليون القبض على البارون دوترى وجوستاف جيروم واقتيدا الى السجن وفى تلك الليـلة أيضا سأل مدير البوليس فكتور عن رأيه فى هذا التقـدم الباهر فأجابه بأنه يراه أسرع مما ينبغى ولكن المفتش موليون أقدم على ما فعل رغبة منه فى ارضاء الرأى العام •

ثم استطرد : ولكن لى رجاء عندك يا سيدى فعدنى بأن تبلغنى بمجرد الاهتداء الى السيارة التى استقلها البارون دوترى من محطة الشمال الى محطة سان لازار •

ـ وما الذى ترجوه من وراء ذلك ؟

ـ العثور على المستندات المسروقة • والى أن يتم ذلك

فسوف أصرف اهتمامى الى أرسين لوبين فان جميع هذه الأحداث الغامضة لن تظهر على حقيقتها الا اذا تبين الدور الذى لعبه أرسين لوبين فيها •

★ ★ ★

والواقع أن الرأى العام رضى عن هذه النتيجة وأعلنت الصحف قراءها بأن البوليس سوف يهتدى الى الحلقة المفقودة وهى المرأة التى كانت واسطة الاتصال بين أرسين لوبين مدبر هذه الحوادث وبين البارون دوترى وجوستاف جيروم شركائه فى تنفيذها •

أما المفتش فكتور فكان يقول لنفسه : اننى لا يهمنى الا الوصول الى هذا الوغد ، أرسين لوبين ، ولن يتسنى لى أن أصل اليه الا عن طريق عشيقته ، بعد أن نتحقق من أن غادة سينما بلتازار ، وقاتلة الأب ليسكو ، والمرأة التى ابتاعت السلم المعدنى ، وتلك التى شوهدت فى درج منزل اليزماسون ، لسن الا امرأة واحدة •

ومضى فأطلع صاحب الحانوت الذى ابتيع السلم منه وكذلـك الرجـل الذى يقطن بمـنزل اليزماسون ، على الصورة التى لديه ، فأجابا بأنها هى بعينها •

وفى نفس اليوم تلقى خطابا عاجلا من مساعده لارمونا يقول فيه :

« اننى وراء أثر طيب •• وقد سافرت الى شارتر لحضور جنازة اليزماسون • فالى اللقاء الليلة »

★ ★ ★

وفى المساء حضر لارمونا الى منزله ومعه احدى صديقات اليزماسون وهى وحدها التى دفعها الوفاء الى مرافقة صديقتها الى مرقدها الأخير .فطلب اليها فكتور أن تفحص الصور ، وما كادت ترى الصورة الأخيرة حتى قالت :

ـ آه !. لقد رأيت هذه السيدة ، هى شديدة الشحوب وذات عينين لا ينساهما المرء قط ، فقد كنت على موعد مع اليز بالقرب من دار الأوبرا ورأيتها تهبط من سيارة فاخرة كانت هذه السيدة هى التى تقودها .

ـ ألم تحدثك اليز عنها ؟

ـ كلا .. ولكننى رأيتها ذات يوم تضع خطابا بصندوق البريد . وكان معنونا الى الأميرة . ويلى ذلك اسم روسى نسيته . ثم اسم فندق بميدان الكونكورد . وأعتقد انها نفس السيدة .

ـ ومتى كان ذلك ؟

ـ منذ ثلاثة أسابيع . ولم ألق اليز بعدها فقد كانت علاقتها بالبارون دوترى تشغل كل وقتها ، ثم انها كانت مريضة ولا تفكر الا فى الذهاب الى الجبال للاستشفاء .

★ ★ ★

وفى نفس الليلة علم فكتور ان امرأة تدعى الأميرة الكسندرا بازيليف كانت تقيم فى فندق كبير بميدان الكونكورد ثم انتقلت منه الى فندق كامبريدج بالشانزليزيه .

أما هذه الأميرة فقد عرف لارمونا من تحرياته فى اليوم التالى انها سليلة أسرة روسية قديمة شهيرة تحمل هذا الاسم وقتل أبوها وأخوتها ، بأمر البوليس السرى الروسى ، أما هى فقد تركت بين الحياة والموت ولكنها استطاعت النجاة واجتياز الحدود خلسة . ولما كانت لأسرتها أموال كثيرة فى أوربا ، فقد استطاعت أن تعيش فى بذخ وفق هواها . وهى فى الثلاثين من العمر لا تغادر الفندق الا نادرا ، وتتناول الشاى والعشاء فى قاعة المائدة الكبرى ، ولا تكلم احدا ولا تتصل بأحد من النزلاء .

★ ★ ★

وفى الغد ذهب فكتور الى الفندق ومعه صديقة اليزماسون لتناول الشاى ، وانتحيا ركنا قصيا من القاعة الكبرى التى كانت تغص بالوافدين وما هى الا لحظة حتى بدت الأميرة بازيلييف بوجهها الشاحب وشعرها الذهبى فعرفها فكتور ورفيقته للتو . اذ كانت هى التى رآها كل منهما من قبل .

★ ★ ★

وبعد يومين وصل الى فندق كاردج نزيل جديد اسمه فى سجل الفندق : ماركوس افيستو ـ اثنان وستون عاما ـ من بيرو . فأعطى حجرة فى الطابق الثالث وهو الذى تقيم فيه الأميرة بازيلييف بالقرب من حجرتها .

وما كان لأحد أن يتبين أن السيد الأشيب البادى الوقار الذى يبعث مظهره وهندامه الأنيق على الاحترام ، ليس سوى فكتور المفتش الأول ببوليس الآداب .

الفصل الخامس

وكان من الميسور لرجل مثل ماركوس أفيستو ، ليس فيه ما يلفت الأنظار بوجه خاص بين ذلك السيل المتدفق من الناس فى هذا الفندق ذى الخمسمائة حجرة أن يرقب الأميرة الكسندرا بازيلييف دون أن يسترعى انتباهها ، وهى التى تبدو دائما شاردة اللب ، ساهمة النظرات . ومضت الأيام الأربعة الاولى دون أن تغادر الفندق أو تتلقى زوارا أو رسائل ، فاذا كانت استطاعت الاتصال بالخارج فى تلك الفترة فلا ريب أن ذلك كان عن طريق التليفون الموضوع فى حجرتها ، كما يفعل فكتور مع مساعده لارمونا .

وكان ساعة العشاء يختلس النظر اليها فيستخفه الاعجاب بفتنتها ، ويزداد حنقه أن تكون مثل هذه المخلوقة الرائعة الحسن فريسة لذلك المغامر الأفاق أرسين لوبين . بل أنه كان يزداد عجبا أن تكون شريكة فى سرقة السندات ومقتل الأب ليسكو واليزماسون ، فان المرء لا يسرق ولا يقتل فى سبيل بضعة آلاف من الفرنكات متى كان وافر الثراء ذا يدين بضتين تتألق فى أصابعهما اللآلىء والماسات .

وفى مساء اليوم الرابع رتب الأمر بحيث كان جالسا فى ركن من المصعد الذى ارتقته الأميرة بعد العشاء وهى تعود الى حجرتها ، فنهض لها وانحنى فى احترام دون

أن يتبادلا الحديث . كما حدث ذلك فى اليومين التاليين دون أن يبدو الأمر أكثر من مصادفة عادية . وكان يظل جالسا فى مقعده وفى ركن المصعد بينما تقف الأميرة دائما وظهرها الى ناحيته .



وفى اليوم السابع خرجت الأميرة من المصعد عند الطابق الثالث وانثنت الى اليمين فى طريقها الى حجرتها ، يتبعها ماركوس على قيد خطوات قليلة ، اذ كانت حجرته فى نفس الاتجاه .. ولكنها ما كادت تمضى قليلا فى الممر المقفر حتى وقفت فجأة ووضعت يدها على مؤخرة رأسها ، وما ان اقترب ماركوس منها حتى أمسكت بذراعه وقالت فى صوت متهدج :

ـ سيدى . لقد سرق أحدهما مشبكى المرصع بالزمرد ، وكنت أضعه فى مؤخر رأسى . ولا ريب أن ذلك قد حدث فى المصعد .

فاعتدل ماركوس وقال : شد ما أنا آسف يا سيدتى !

وتقابلت نظراتهما بضع ثوان ، وما لبثت الأميرة أن أرخت عينها وهى تقول :

ـ لا ريب أنه سقط منى هناك ، وسوف أعود للبحث عنه .

ولكنه أمسك بذراعها بدوره وقال : معذرة يا سيدتى .. هل شعرت بيد تلمس شعرك ؟

ـ نعم .. ولكنى لم أعر الأمر أهمية فى تلك اللحظة .

ـ اذن .. فلا ريب اننى السارق .. لأن عامل المصعد كان يقف أمامك .

فلم تجب الأميرة وراحا يتبادلان النظر من جديد وما لبثت أن غمغمت :

ـ لا بد اننى مخطئة يا سيدى ، فمن المحتمل أن أكون قد نسيت المشبك فى حجرتى ، وسوف أجده فوق منضدة الزينة .

ـ اذا افترقنا يا سيدتى فسوف تفلت الفرصة من يدك وتظل الشكوك تتراوحك من ناحيتى .. فالأفضل أن نعود معا الى مدير الفندق فتقدمى له شكواك .. ولو كانت ضدى .

ففكرت قليلا ثم قالت : لا يا سيدى .. لا فائدة من ذلك .. ولكن هل تقيم فى الفندق ؟

ـ فى الحجرة رقم ٣٤٠ . مسيو كارلوس أفيستو .

فابتعدت المرأة وهى تردد هذا الاسم ، بينما مضى فكتور الى حجرته حيث كان لارمونا فى انتظاره فاخبره بنجاح خطته وان المرأة استسلمت للأمر الواقع ولم تجرؤ على شكواه .

ثم أخرج المشبك من جيبه ووضعه على الخوان واستطرد :

ـ سوف أعيده اليها بعد أن أثق من أن الأثر الذى قصدته قد ملك عليها فكرها .

وفى تلك اللحظة قرع جرس التليفون فتناول فكتور المسماع وأجاب :

ـ نعم يا سيدتى ، اننى هو .. المشبك ؟ .. وجدته فى حجرتك ؟ حسنا .. اننى سعيد جدا بهذه النتيجة . شكرا يا سيدتى .

ثم تحول الى لارمونا قائلا : انها تزعم انها وجدت المشبك الذى معى الآن .. ومعنى ذلك انها لم تجرؤ على الشكوى خوفا من الفضيحة ، مع انها واثقة أن المشبك قد سرق منها : واننى ذلك السارق وهذا هو ما قصدته يا صديقى .. فقد أردت أن أثير فضولها واشيع الثقة فى نفسها من ناحيتى ، وبذلك أستطيع أن أصل الى عشيقها ، أرسين لوبين . يا لها من فكرة موفقة ! . سوف أتقرب الى لوبين ، وأغدو شريكا له فى مغامراته ، بل ساعده الأيمن ، حتى اذا ما أتى اليوم الذى يضع فيه يده على الملايين العشرة كنت موجودا معه .. وعندئذ استطيع انا .. انا فكتور المفتش ببوليس الآداب أن أبطش به واريه الوان العذاب والنكال . ولا تنس اننى كلما أمعنت النظر الى هذه المرأة كلما ازداد حنقى على ذلك الوغد .

ولم تغادر الأميرة حجرتها الا فى اليوم الثالث بعد هذا الحادث . فاتخذ فكتور لنفسه مكانا بالقرب من المائدة التى اعتادت الجلوس اليها ساعة العشاء ، متظاهرا بأنه لم يرها ، ولكنه كان واثقا من انها لا تفتأ تختلس النظر اليه بين الفينة والفينة . فلما انتهى العشاء أخذا يدخنان فى صمت فراح فكتور يتفرس فى الحضور بحثا عن رجل تنطبق عليه الأوصاف الشائعة عن أرسين لوبين غير انه

لم يجد بينهم من يمكن أن يكون ضالته المنشودة ، كما ان الأميرة كانت تبدو غريبة عن الحاضرين جميعا .

وبعد يومين آخرين وقع فى الفندق حادث لم يشترك فيه فكتور طبعا ، ولكنه كان خير عون له فى تنفيذ خطته . فقد سرق من احدى النزيلات فى الطابق الأول ، وهى سيدة أمريكية ، صندوق متوسط الحجم ملىء بالحلى والأحجار الكريمة . ونشرت الصحف هذا الخبر وأضافت بان الظروف التى تمت بها السرقة تنم عن أن السارق شخص طويل الباع فى مثل هذه الأمور ، وعلى جانب كبير من البرود ورباطة الجاش .

وقرأت الأميرة هذه الصحيفة وهى تتناول العشاء فاتجهت نظراتها فى حركة غريزية الى فكتور كأنها تريد أن تقول : هذا هو السارق فأحنى لها رأسه قليلا ، وأسرع بتحويل نظراته عنها قبل أن ترد وهو يقول فى نفسه :

- ها هى الآن تعدنى من لصوص الطبقة الأولى . ولعلها شديدة الاعجاب بجرأتى ورباطة جاشى اذ أظل فى الفندق دون أن احاول الفرار .

وكان لا بد من التقرب بينهما . فعنى فكتور بأن يجلس بعد العشاء على الأريكة التى اعتادت أن تجلس بجوارها .

- فلما أتت . لبثت مترددة لحظة ثم اتخذت مقعدها الى جانبه وظلت صامتة برهة حتى اشعلت لفافتها ثم رفعت يدها الى مؤخر رأسها بغتة وانتزعت مشبكا من الزمرد وهى تقول :

- هأنت ترى يا سيدى اننى قد وجدته .

فوضع فكتور يده فى جيبه وأخرج المشبك الآخر قائلا .

- عجبا .. لقد وجدته بدورى ! .

فصعقت المرأة لهذه المفاجأة التى لم تكن تتوقعها ، وظلت برهة لا تحير جوابا ، فاستطرد فكتور :

- من حسن الحظ يا سيدتى أن يظل المشبكان فى حوزتك .

فأخلدت الى الصمت لحظة قبل أن تقول :

- لا ريب اننى أبدو فى نظرك امرأة عجيبة الأطوار .. تبعث على السخرية ..

- لا شىء من ذلك يا سيدتى ، فلست أرى فيك الا أميرة روسية مثرية بالغة الطيبة .

- لقد لقيت كثيرا من ظروف الزمن .. وكنت فى صباى سعيد هانئة ناعمة البال لا أهتم الا بما يبعث السرور الى نفسى .

ولكن القدر قلب لى ظهر المجن فذبح أبواى امام ناظرى ، ونكل بأخوتى وخطيبى .

وأخيرا استطعت الافلات من هذه المحنة ، ولكننى غدوت محطمة القلب لا أعرف للهدوء والطمأنينة معنى حتى لقد اعتدت الشعور بالقلق والانفعالات النفسية .

- بمعنى انك مضيت تبحثين عن المزيد من هذه الانفعالات .. فاذا ما اعترض طريقك رجل ممن لا يقيمون وزنا للتقاليد والأوضاع ، أثار فضولك ورحت تتقربين اليه وتشاطرينه مغامراته كى تلمسى بنفسك ما يحسه من قلق وهو يمارس عمله فى تلك اللحظات المحفوفة بالخطر ، المليئة بالمخاوف ولكن .. آه ! .. يحسن أن تبتعدى عنى قليلا .

– لماذا ؟. ما الذى حدث ؟

– أترين هذا الرجل البدين الذى يدعو منظره الى الضحك وهو فى ثياب السهرة ؟ انه أحد رجال الشرطة فهو المفتش موليون الذى يحقق فى حادث سرقة صندوق الحلى من الفندق .

فاتكأت بيدها على المنضدة وهى تبتعد قليلا عن فكتور ، ولكنها كانت تنظر اليه لترى الأثر الذى أحدثه اقتراب الخطر فى نفسه ، وما لبثت أن همست :

– ألا تذهب ؟

– ولماذا ؟. انك لا تعرفين هؤلاء السادة على حقيقتهم فموليون أشدهم حمقا وغباء .. وليس فيهم الا رجل واحد هو الذى يشيع الذعر فى قلبى .

– من هو ؟.

– انه يدعى المفتش فكتور من بوليس الآداب .

– اقد قرأت عنه فى الصحف .

– نعم فهو الذى يشترك مع موليون فى قضية سندات الدفاع ومقتل الأب ليسكو . وتلك التعسة أليز ماسون التى أغتيلت غدرا .

– ألا تصفه لى ؟

– انه أقصر منى قليلا ، ومنظره يثير الرغبة فى الضحك وخصوصا عويناته الضيقة التى من طراز القرن الماضى . ولكن له عينا !. ويا لها من عين نفاذة لا تخطىء الهدف . أما موليون فعلى العكس منه . انظرى . انه يتطلع الى ناحيتنا .

★ ★ ★

وكان موليون يجيل عينيه فى الحاضرين .. فاستقرتا

لحظة عند فكتور ولكنهما لم تلبثا أن انتقلتا الى غيرهما ، وكان ذلك ختام تفتيشه .

★ ★ ★

وعندئذ تنهدت الكسندرا بازيلييف كأنما أزيح عن كاهلها عبء ثقيل بينما قال فكتور :

– ارأيت انه يظن الآن انه قد أدى واجبه وان أحدا لم يفلت من نظراته النافذة ولكن لعله لا يبحث عن سارق صندوق الحلى وانما يبحث عن قتلة كوخ جارسن وشارع فوجيرار . فهو لا يفكر الا فى هذه القضية وكذلك رجال البوليس جميعا .

فجرعت الأميرة كأسا من الشراب وأشعلت لفافة جديدة بيد مرتعدة .. وما لبثت أن استعادت هدوءها ونهضت تهم بالانصراف الى حجرتها .

وعندئذ خيل الى فكتور أنها تبادلت نظرة خاطفة مع رجلين يجلسان عن بعد منهما . وكان أحدهما ذا وجه مشرب بالحمرة يبدو عليه أنه انجليزى وسبق أن رآه فكتور فى الفندق مرارا أما الآخر فلم يره قط من قبل ، وكانت تنطبق عليه جميع الأوصاف التى يعرفها عن أرسين لوبين .. كما كان يضحك مع رفيقه فى مرح وقد انبسطت أساريره ، وبدت فى وجهه الوسيم دلائل العزم والصلابة .

وابتعدت الاميرة بعد أن نظرت الى الرجلين مرة أخرى . وبعد قليل قاما بدورهما فتناول الثانى قبعته وعصاه وغادر الفندق بينما اتجه الانجليزى الى المصعد .

فلما هبط المصعد ثانية ارتقاه فكتور ثم سأل الخادم :

– من هو هذا السيد الذى صعد الآن ؟ أهو انجليزى ؟

– انه يدعى مستر بيميش ويقيم فى الحجرة رقم ٣٣٧ .

– أيقيم هنا منذ مدة طويلة ؟

– منذ أسبوعين .

وهكذا تبين فكتور أن هذا الانجليزى يقيم فى الفندق منذ أن حلت به الأميرة بازيلييف . وفى نفس الطابق . فايقن للتو أن زميله ليس الا أرسين لوبين . عشيق الأميرة الفاتنة .. وخصمه اللدود .

وفى اليوم التالى دعا اليه لارمونا ، وساله عما كان موليون يفعله فى الفندق بالأمس فعلم انه كان يبحث عن السارق وهو أحد النزلاء بلا ريب ولكن له شريكا آخر خارج الفندق . كما علم أن موليون ينوى أن يهاجم مشربا تجتمع فيه عصابة أرسين لوبين ، حيث يدبرون الخطط للاستيلاء على الملايين العشرة التى ذكرها فى خطابه ، وسوف يعرف موليون عنوان هذا المشرب اليوم .

فأخبره فكتور بما حدث فى الفندق وطلب اليه أن يراقب الانجليزى عند خروجه وفى انتظار ذلك عليه أن يفتش حجرته للتو .

فحاول لارمونا أن يعترض لما فى ذلك من خرق للقانون وانه يجب الحصول على اذن بالتفتيش فصاح به فكتور حانقا :

– هراء !. فان لوبين ليس من طراز البارون دوترى أو جيروم ، ولست أحب أن أشرك ادارة البوليس فى هذا الموضوع فأنا وحدى الذى يجب أن يهتم به . وسوف أقبض عليه بيدى هذه وأسلمه للعدالة . فذلك لا يخص أحدا سواى .. وهى قضيتى دون غيرى ..

وبعد نصف ساعة عاد اليه لارمونا وأخبره بأنه وجد شيئا ذا قيمة كبيرة فقد عثر على المنديل البرتقالى ذى الخطوط الخضر الذى كانت اليز ماسون تضعه حول عنقها ، بين أكداس من الثياب فى حجرة الانجليزى .. فهل ثمت دليل أبلغ من هذا على أن المرأة التى رؤيت تهبط الدرج فى منزل القتيلة ليست سوى الأميرة بازيلييف!.



وفى المساء قرأ فكتور فى الصحف هذا النبأ :

« علمنا عند مثول الجريدة للطبع أن المفتش موليون وثلاثة من رجاله قد هاجموا مشربا فى شارع ماربيف بعد ظهر اليوم حيث اتصل بعلمه أن عصابة من اللصوص الدوليين ، بينهم بعض الانجليز تعقد فيه اجتماعاتها وقد استطاع البوليس أن يقبض على ثلاثة منهم بينما فر الاثنان الآخران وأحدهما مصاب بجرح خطير .. وتدل الدلائل على أن أرسين لوبين كان أحد هذين الرجلين !! »

وكانت الأميرة تمسك بالصحيفة فى يدها ساعة العشاء فرآها فكتور تمتقع فجأة حتى يحاكى وجهها شحوب الأموات فخال انها على وشك الاغماء .. ولكنها تماسكت وراحت تجيل بصرها حولها حتى استقر على الانجليزى بيميش وكان جالساً بمفرده .. فتساءل فكتور :

– ترى هل كان بيميش أحد الهاربين من البوليس اليوم وهل ينوى أن يبلغها شيئا عن أرسين لوبين ؟!

وعندئذ سبقهما الى حجرته فكمن خلف بابها الموارب ..

وما لبث أن رأى الأميرة تمضى الى حجرتها فتقف فى بابها وعلى محياها علامات القلق ، واذا بالانجليزى يلحق

فيتحدث اليها قليلا ، فانبسطت أساريرها وعلت الابتسامة شفتيها .. وابتعد الانجليزى عنها فدخلت الحجرة وأغلقت الباب خلفها .. وعندئذ ايقن فكتور أن عشيقها ارسين لوبين اللعين ، قد استطاع الافلات بجلده .

★ ★ ★

ولم يعترف المقبوض عليهم الثلاثة ، وكانوا من الروسيين ، الا بأنهم اشتركوا فى بعض السرقات فى الخارج ولكنهم نفوا بتاتا كل علم بزعماء العصابة الذين يستخدمونهم .. أما زميلاهم الهاربان فكان أحدهما انجليزيا ولكن الآخر كان يحضر اجتماعهم للمرة الأولى ولم يتكلم خلاله قط .. وهو الذى جرح ، وكانت صفاته تنطبق على الرجل الذى رآه فكتور جالسا مع الانجليزى فى ردهة الفندق .

★ ★ ★

وفى اليوم التالى ذكرت الصحف شيئا يلقى بعض الضوء على الحوادث السابقة فقد تبين أن أحد الروسيين الثلاثة كان عشيقا لأليز ماسون ولا تفتا تمده بالمال بين آن وآخر .. ووجد معه خطاب كتبته اليه قبل مصرعها بيومين تقول فيه :

- ان البارون دوترى فى سبيل الحصول على صفقة عظيمة .. فاذا نجح فسوف يأخذنى فى اليوم التالى الى بروكسل .. ولكنك ستلحق بى هناك .. أليس كذلك أيها العزيز ؟ وسننتهز أول فرصة تسنح لنا للفرار معا بالمبلغ الضخم .. فلا تنس اننى أحبك .

ورأى فكتور فى تطور الحوادث على هذا النحو ما أزعجه . فما كان يجب أن تتدخل ادارة البوليس فى امر أرسين لوبين ، اذ انه يعد هذا الوغد ضالته هو . وهو

وحده الذى عليه أن يتولى التحريات الخاصة بارسين لوبين وعصابته وعلى الأخص الأميرة بازيلييف والانجليزى بيميش . . وأراد ان يعرف ما يجرى فى ادارة البوليس فغادر الفندق حيث أزال تنكره وتقمص شخصية المفتش فكتورمن جديد ثم ذهب الى الادارة فقابله المفتش موليون منتفخ الأوداج فخورا بما بلغه من نجاح ، وهو يسخر من فكتور ومن أساليبه العتيقة الفاشلة فاذا كان أرسين لوبين قد استطاع الافلات هذه المرة فلا ريب انه واقع بين يديه عما قريب .

ثم ذهبا معا الى مكتب قاضى التحقيق وكان يهم فى تلك اللحظة باستجواب البارون دوترى ومواجهة الخطاب الذى أرسلته اليز ماسون الى عشيقها الروسى .. فلما تلا عليه الخطاب شحب وجهه وترنح فى موقفه كالتمثال وراح يغمغم فى صوت متهدج :

- ياللعينة .. الفاجرة .. ! كان لها عشيق آخر ؟ لقد انتشلتها من الأوحال ..ومع ذلك فكانت على وشك الفرار معه ؟ ..

وعبثا حاول قاضى التحقيق أن يدفعه الى الاعتراف بالحقيقة .. فقد ظل الرجل يتمتم بهذه العبارات ومثلها كأنما لا يرى أمامه سوى تلك الخيانة الصارخة . أما سرقة السندات ، ومقتل الأب ليسكو فلا يهمه أن يتهم بهما .

وتحول قاضى التحقيق الى جوستاف جيروم .. وجابهه بأن بستانية قد اعترفت بانه لم يعد الا بعد الساعة الثالثة من صباح تلك الليلة .. ليس ذلك فحسب ولكنه اعترف أيضا بأن جيروم وعده بخمسة آلاف من الفرنكات اذا قال انه عاد قبل منتصف الليل .

ولكن عضو المجلس المحلى لم يزد على قوله :

ـ لقد ضقت ذرعا بهذه السخافات وأردت أن أتخلص من مضايقة رجال البوليس فطلبت ذلك من البستانى حقا .. فافعلوا ما بدا لكم ولتأخذ العدالة مجراها .

★ ★ ★

وفى تلك الليلة حاول البارون الانتحار وراح يضرب رأسه بجدران حجرته فى السجن ولكن الحراس حالوا دون تحقيق غرضه وألبسوه ثياب المجانين .

★ ★ ★

وفى اليوم التالى تقابل فكتور وموليون وذهبا معا الى جارسن وراحا يستجوبان زوجة البارون دوترى وزوجة جستاف جيرم من جديد ، فأصرت كل منهما على أقوالها .. وفى أثناء عودتهما قال موليون :

ـ نسيت أن أخبرك ان المدير يريد ان يراك .

ـ لماذا ؟

ـ بسبب ذلك السائق الذى أوصل دوترى من محطة الشمال الى محطة سان لازار .. فقد وجدناه .

ـ بالله ! .. لماذا لم تخبرنى من قبل ؟ ..

واسرع الى مقابلة المسيو جوتييه الذى اخبره ان السائق رأى صورة البارون دوترى فى الصحف وعلم انهم يبحثون عن السيارة التى اقلته الى محطة سان لازار فقدم نفسه لادارة البوليس ، وعرض عليه دوترى فعرفة للتو .

ثم ذكر ان المتهم استقل سيارته ولكنه لم يذهب بها الى محطة سان لازار رأسا بل قام بدورة واسعة حول ميدان الأيتوال لم يفهم السائق سببها اذا لم يغادر دوترى السيارة

قط .. وقد حجزه البوليس بعد ان ادلى بأقواله حتى يراه فكتور كما طلب من قبل .

★ ★ ★

واخلد فكتور الى الصمت مفكرا بين دهشة رئيسه والمفتش موليون .. وما لبث ان قال :

ـ لو صح حدسى يا سيدى الرئيس فان الفترة بين الساعة الخامسة والثلث الى السادسة هى التى استطاع البارون دوترى ان يخفى فيها السندات المسروقة .

فلا ريب انها كانت معه عند ما صحب عشيقته الى محطة الشمال للفرار الى بلجيكا ولكنه عدل عن السفر فى اللحظة الاخير لسبب لاندرى كنهه بعد ، فلما قرأ فى الصحيفة التى اشتراها وقتئذ أن البوليس يرتاب فيه وقد يكون فى انتظاره فى محطة جارسن عول على اخفاء السندات فى مكان ما .

فقاطعه موليون ساخرا :

ـ ولكنه لم يغادر السيارة قط .

ـ اذن فهناك احد امرين . فاما ان يكون قد عهد بها الى السائق ..

ـ محال . والا ما تقدم الرجل بنفسه الى البوليس ليدلى بشهادته

ـ واما ان يكون قد اخفاها فى السيارة .

فانفجر موليون ضاحكا وهو يقول فى سخرية :

ـ بالله ! . ما اشد ذكاءك يافكتور !

ولكن المسيو جوتييه لم يشاطره هذا الهذر وانما سأل فكتور فى لهفة :

ـ وكيف يمكن ان يخفى السندات فى السيارة ؟

– انه يستطيع ان يضعها داخل احدى الوسائد ثم يخيط الشق من جديد .

– ولكن ذلك يحتاج الى وقت طويل .

– وهذا هو ما دعاه الى تلك الجولة الواسعة قبل ان يذهب الى محطة سان لازار . ويمكنا أن نستوثق الرأى بتفتيش السيارة . فاين هى ؟

– انها فى الفناء . فهيا بنا .

واستدعى السائق ليرشدهم الى سيارته ، وعندئذ راح فكتور يفحص وسائدها فى دقة حتى اهتدى الى شق حديث الرتق فأخرج مبراته وقطع بها الخيوط ثم مد يده يبحث بداخلها وما لبث ان صاح :

– هانذا .

ثم اخرج قطعة من الورق المقوى وما ان نظر اليها حتى ندت منه صحية غضب . فقد كانت بطاقة ارسين لوبين وعليها هذه العبارة

« معذرة . فقد سبقتكم الى السندات . ارسين لوبين »

فاحتقن وجه غضبا وتوهجت عيناه وهو يقول :

– سوف انال هذا الوغد قبل ان يمضى اسبوعان يا سيدى الرئيس

ثم استدار على عقبيه وعاد الى مسكنه حيث استغرق فى نوم عميق .

وفى الصباح ذكرت الصحف تلك القصة وهى تطرى ذكاء فكتور ودقة فراسته . كما ذكرت صحف المساء نبأ انتحار البارون دوترى فى سجنه على أثر علمه بضياع السندات اذ قطع شرايين يده بقطعة من الزجاج ، وكان ذلك أبلغ اعتراف منه بجرمه غير انه لا يلقى ضوءا على

جريمة الكوخ وشارع فوجيرار ، ولكن الجمهور ما كان يكترث الا لشىء واحد فقط هو الذى يثير اهتمامه . ذلك هو أرسين لوبين والطريقة التى سينجو بها من شباك فكتور المفتش ببوليس الآداب .

★ ★ ★

وفى المساء استعاد فكتور شخصية ماركوس أفيستو من جديد ، وعاد الى فندق كلاردج حيث تناول العشاء دون ان يرى الأميرة بازيلييف .

ولكنه ما أن أوى الى حجرته فى الساعة العاشرة حتى قرع جرس التليفون وسمع صوتا ناعما يقول له :

– ألو . مسيو ماركوس أفيستو . اننى الأميرة الكسندر بازيلييف .. اذ لم يكن لديك ما يشغلك الآن يا سيدى العزيز فانه ليسرنى أن تحضر لنتحدث معا قليلا .

– الآن يا سيدتى . – أجل . الآن .

الفصل السادس

فرك فكتور كفيه جذلا فقد حانت اللحظة التى كان يرتقبها .. وها هى الأميرة بازيلييف تشعر بحاجتها اليه .

وفتح باب الحجرة وخرج الى الممشى متلصصا فلما لم ير ما يريبه سار فى خطى سريعة الى حجرة الأميرة فوجد بابها مواربا كما وجدها فى انتظاره عند باب المخدع الداخلى وقد ارتدت ثوبا يكشف عن كتفيها العاجيتين .. وكانت منبسطة الأسارير لا يبدو عليها شىء من ذلك الجمود والترفع اللذين تظهر بهما أمام الناس .

وقابلته فى حفاوة وقدمت له مقعدا وهى تقول :

– شكرا لك . فقد كنت أشعر بالضيق فأردت أن نتحدث قليلا .

ـ ولكن الضيق الذى ينتابك ليس مما تبدده محادثة هادئة فى مثل هذا المخدع الأنيق .

ـ أتعرف له علاجا آخر ؟

فقال متظاهرا بالمزاح : أجل . اننى أستطيع أن أجيئك بالأخطار المروعة فاكدسها فوق رأسك . وبذلك يذهب هذا الملل الذى تعانيه .

ثم اقترب منها واستطرد فى جد :

ـ ولكن ما فائدة ذلك كله . أليست حياتك حلقة متصلة من الأخطار والأهوال ؟

فتورد وجهها قليلا وقالت :

ـ ما الذى يدعوك الى هذا القول ؟ .

ـ ألست كذلك حقا . ألا تتوقين كلما أمضتك الوحدة الى المواقف المثيرة التى تبعث الرعب فى أقسى القلوب وأكثرها شجاعة .

فلم تجبه وراحت تتشاغل بتقليب الصحف الموضوعة فوق الخوان بينهما وما لبثت أن قالت :

ـ هل قرأت الصحف ؟ ما رأيك فى قصة السندات المسروقة ؟ .

وكانت هذه أول اشارة بينهما الى تلك القضية التى كانت تشغل فكريهما فأجاب : انها قضية غامضة .

ـ هى كذلك حقا . ولكن ها قد استجدت فيها أمور جديدة تلقى الضوء عليها . فانتحار البارون دوترى مثلا يعد بمثابة اعتراف كامل .

ـ هل أنت واثقة من ذلك ؟ لقد انتحر لخيانة عشيقته وضياع أمواله ، ولكن هل هو الذى قتل الأب ليسكو حقا ؟

ـ ومن الذى قتله اذن ؟

ـ ربما كان أحد شركائه وليله جوستاف جيروم أو عشيق تلك المرأة التى فرت من النافذة ؟

ـ عشيقها ؟ ! ـ أجل . أرسين لوبين .

ـ ولكن أرسين لوبين لا يقتل . ولا يسفك دما .

ـ ربما اضطر الى ذلك .

وعلى الرغم من انهما كانا يتبادلان هذا الحديث فى هدوء كأنه لا يعنى أحد منهما فقد أحس فكتور دون أن يحول بصره اليها انها تنتقض وهى تسأله بصوت متهدج :

ـ الذى تظنه فى المرأة ؟ .

ـ من .. غادة السينما ؟

ـ هل تظن انهما امرأة واحدة ؟ ـ بلا ريب .

ـ أجل .. هى التى رؤيت فى منزل اليز ماسون ؟ .

ـ أجل . ـ اذن فأنت تعتقد انها ..

ولم تتم عبارتها ولكن فكتور أتمها قائلا :

ـ وهى التى قتلت اليز ماسون .. وانى لفى عجب من تلك المرأة وفى دهشة من استهتارها بالخطر .. ثم ان مقتل اليز ماسون يدل على الغباء فان السندات لم تكن معها ، فعلام القتل اذن ؟

ـ ما الذى يهمك أنت فى هذا الموضوع ؟

ـ رجلان .. لا كهؤلاء الأطفال دوترى وجيروم والمفتش موليون ولكنهما رجلان حقا .. قدا من فولاذ .. ويمضيان فى طريقهما دون تعثر أو خطأ .. انهما أرسين لوبين .. والمفتش فكتور . ـ أرسين لوبين ؟ .

ـ انه البطل الأعظم .. فالطريقة التى استطاع بها أن يعثر على السندات تدعو الى الاعجاب حقا .. أما فكتور

فلا يقل عنه عزما ومضاء .. وقد أمكنه أن يجد المخبأ الذى كانت مودعه فيه .

ـ وهل تظن هذا الرجل قادرا على أن ينال لوبين ؟

ـ بلا شك . فانى أعرف أساليب هذا الشيطان . ولا ريب انه يعرف عن حقيقة لوبين أكثر مما يظهره . واغلب ظنى انه يتتبع أثره الآن .

فظلت الأميرة ساهمة لحظة ثم قالت : لو ناله لكانت خسارة عظمى . فان هؤلاء الرجال الذين يطاردهم القانون يثيرون اعجابى بما يحتملونه من قلق وانفعال كلما قاموا بعملهم .

ـ انك واهمة فى ذلك . فانهم لا يلبثون أن يعتادوا هذا العمل ويؤدوه كما يؤدى أى انسان واجبه فى وضح النهار . فانا مثلا ، لقد أرشدنى بعضهم الى ...

ثم كف عن الاستمرار فى كلامه وهم بالقيام قائلا :

ـ ولكن معذرة . فانى أضيع وقتك سدى .

فامسكت به وقد ثار فضولها . وقالت :

ـ ما الذى كنت تقوله ؟ امض فى حديثك .

ـ لا شىء . انه أمر تافه لا قيمة له . فقد علمت ان هناك سوارا مرصعا بالماس . وليس على الا أن أمد يدى فالتقطه . وهانت ترين انها نزهة بسيطة ، ليس فيها أثر للانفعالات التى تظنينها .

وسار الى الباب . ولكنها أمسكت بذراعه وراحت تنظر اليه فى فضول ولهفة وما لبثت أن قالت : متى تقوم بهذه .. النزهة البسيطة ؟

ـ لماذا ؟ هل تريدين الذهاب معى ؟

ـ أجل .. فان الملل يكاد يقتلنى .

ـ و هل تجدين فى ذلك تسلية لك ؟

ـ نعم .. نعم .

ـ بعد الغد .. فى الساعة الثانية بعد الظهر .. شارع ريفو ميدان سان جاك . ثم غادر الحجرة دون أن ينتظر اجابتها .

★ ★ ★

وفى الموعد المحدد كان فكتور يجلس على مقعد فى حديقة ميدان سان جاك ، فرآها تحضر وقد ارتدت ثوبا قصيرا من القماش الرخيص وأسدلت قبعتها بحيث تخفى شعرها الذهبى ، وهى تبدو سعيدة بالمغامرة التى كانت على وشك الاقدام عليها .. فسألها :

ـ أما زلت راغبه فى مرافقتى ؟

ـ بلا شك .

ـ دعنى أقل شيئا على سبيل الايضاح .

ـ أتراه ضروريا ؟

ـ أجل ، حتى يهدأ جاشك قليلا .

ـ لا لزوم لذلك .. وهيا بنا الى تلك النزهة .

ـ حسنا سوف نزور رجلا طيبا يقوم بشراء الحلى المسروقة ، وقد ابتاع بالأمس ذلك السوار ولكننى سوف استرده منه دون أن أدفع شيئا ، وهو يستغرق فى هذه الساعة فى نوم عميق لا يفيق منه قبل الساعة الثالثة .

★ ★ ★

وغادر الحديقة فسار بها بضع خطوات حيث كانت سيارته بجوار الافريز وجعل الكسندرا تستقلها فجأة قبل أن يتسع لها الوقت لقراءة رقمها .. ومضى بالسيارة وهو يقودها فى شوارع ضيقة متعرجة لم تستطع الكسندرا أن تعرف أسماءها ، حتى لقد شكت فى انه يتعمد ذلك حتى لا تشى به .. وأخيرا سألته بغتة :

- انك لست من نيرو .. اليس كذلك ؟ .

- لا طبعا . - فرنسى ؟

- من مونمارتر ! . - من أنت اذن ؟ .

- اننى سائق سيارة الأميرة بازيلييف ! .

ووقفت السيارة أمام بناء كبير . فهبطا منها واجتازا فناء متسعا مربعا تحيط به منازل قديمة لكل منها درج مستقل يميزه حرف خاص . فسارا الى الدرج حرف (ف) وارتقياه حتى بلغا الطابق الخامس والأخير فاخرج فكتور من جيبه حزمة من المفاتيح وورقة كان عليها رسم المسكن ثم أولج أحد المفاتيح ففتح الباب دون أن يند عنه أى صوت .

وتردد فكتور قليلا ثم قال لرفيقته :

- لست خائفة ؟

فهزت كتفيها ولم تقل شيئا . ولكنها فى نفس الوقت كانت قد كفت عن الضحك واستعاد وجهها شحوبه المعتاد .

وأشار فكتور الى احدى الغرف بعد أن اجتازا الردهة وقال : - انه ينام هنا .

ثم مضى الى الحجرة المجاورة وكانت تحتوى الى جانب أثاثها البسيط على خزانة حديدية . ويفصلها عن الحجرة الأخرى منفذ ضيق تغطيه ستارة بالية أزاحها فكتور بيده فى خفة ونظر داخل الحجرة . ثم دعا رفيقته للنظر بدورها . فرأت فى الجدار المقابل مرآة كبيرة انعكست عليها صورة رجل يرقد على أريكة ضيقة وقد أدار وجهه الى الجدار فلم يظهر فى المرآة .

فقال فكتور :

- ابقى هنا . واذا رأيته يتحرك فأنذرينى .

ولمس يدها فوجدها باردة كالثلج . بينما كانت عيناها المحمومتان لا تتحولان عن الرجل المستغرق فى النوم .

ومضى فكتور الى الخزانة فراح يعالج قفلها حتى استطاع أن يفتحها ، وأخذ يفتش داخلها حتى عثر على السوار فوضعه فى جيبه .

وفى تلك اللحظة انبعث من الحجرة الأخرى صوت شىء يسقط على الأرض فأسرعت الأميرة باسدال الستار وهى تترنح خوفا . فحف اليها فكتور وسمعها تغمغم :

- لقد تحرك . انه يستيقظ .

فمد يده الى جيبه الخلفى لاخراج مسدسه .. ولكن الأميرة أمسكت بذراعه فى اضطراب بالغ وهى تهمس :

- هل جننت ؟ . لا .. انك لن تفعل ذلك أبدا .

فوضع يده على فمها وقال : صه !. اصغى .

ولكن السكون قد عاد الى الحجرة ، فجذب فكتور رفيقته الى باب المسكن فى هدوء حتى اذا ما خرجا الى قمة الدرج لم يكن قد مضى عليهما أكثر من خمس دقائق .

وجلست الأميرة فى السيارة وقد تقلص وجهها حتى لقد ظن انهـا ستنخرط فى البـكاء ، ولكنها ما لبثت ان ضحكت فى عصبية وهو يريها السوار . وقالت :

ـ انها صفقة رابحة ، فهنيئا لك هذا النجاح الباهر .

وكانت نبراتها تشف عن التهكم اللاذع ، وأحس فكتور كأنها تتباعد عنه .. وما لبثت أن طلبت اليه أن يوقف السيارة ، ثم غادرته دون أن تقول كلمة واحدة ، ومضت الى موقف لسيارات الأجرة ، فاستقلت واحدة منها .

★ ★ ★

وعندئذ عاد فكتور الى المنزل القديم الذى غادره منذ قليل ، وصعد الدرج الى الطابق الخامس ثم قرع الجرس ! ففتح الباب وبدا منه الرجل الذى كان مستغرقا فى النوم منذ حين ، فقال فكتور :

ـ أحسنت يا لارمونا ، لقد أجدت تمثيل دورك يا بنى ، ولكن ما الذى سقط منك ؟ ـ انها عويناتى .

ـ لقد كنت على وشك أن أطلق عليك الرصاص لولا ان منعتنى الكسندرا وهذا يدل على انها بعيدة كل البعد عن ارتكاب جريمة قتل ، والآن ، هاك السوار فأعده الى صديقك الجوهرى الذى أعارك اياه ، واشكره نيابة عنى .

وفى تلك ليلة اتخذت الأميرة الكسندرا بازيلييف لنفسها مكانا آخر فى تلك المائدة ، ثم جلست بعد العشاء فى ركن بعيد تطالع بعض المجلات المصورة دون أن تلتفت ناحية فكتور أو تبادله التحية .

★ ★ ★

ومضى يومان لم يجد خلالهما شىء ، وفى اليوم الثالث كان فكتور يطل من شرفة الفندق بعد الغداء فرأى اثنين من مفتشى البوليس يجلسان فى الحديقة المقابلة لمدخل الفندق ويرقبان الداخلين والخارجين منه كما رأى اثنين آخرين على الرصيف المقابل يتظاهران بالتسكع والتطلع الى واجهات الحوانيت ، ثم اثنين آخرين على مبعدة منها .

فاضطرب فكتور ظهر لبطن لدى رؤية زملائه الستة . وعلم أن موليون يبيت أمرا لبعض نزلاء الفندق . فما هو ؟ وما مدى معلوماته عن الأميرة الكسندرا بازيلييف وعن أرسين لوبين ؟ وما هو السبيل الذى يسلكه هو ، ازاء هذه الحالة الطارئة ؟ هل يعاون زميله كما ينبغى أن يفعل مفتش البوليس حسن السمعة مثله ؟ . وفى هذه الحالة يستطيع موليون أن يقبض على الأميرة وعلى الانجليزى بيميش . ثم من بعدهما أرسين لوبين ؟ . لا .. لن يفعل ذلك والا ضاعت جهوده هباء ، وحظى غيره بذلك الشرف

الذى يجب أن يستبقيه لنفسه . شرف القبض على أرسين لوبين هذا . والتنكيل به .

★ ★ ★

وفى تلك اللحظة رأى لارمونا يدنو من الفندق ، فى خطوات بطيئة ثم يدخله بعد أن تبادل مع المفتشين الجالسين فى الحديقة نظرة ذلت مغذى . فاسرع فكتور بالنزول الى ردهة الفندق ، وكانت مكتظة فى تلك الساعة بالنزلاء والوافدين لتناول الشاى فكان من السهل أن يقابل لارسونا دون أن يلاحظهما أحد . وسأله :

ـ ماذا حدث ؟ ـ ان الفندق محاصر .

ـ لماذا ؟ .

ـ يبدو ان المفتش موليون يعتقد بأن الانجليزى الذى فر من المشرب يقيم هنا .

ـ والأميرة ؟ .

ـ انه لا يعلم شيئا عنها .

ـ وأرسين لوبين ؟

ـ لم يأت ذكره على لسانه .

ـ وهل جئت لتنذرنى ؟

ـ بل اننى أقوم بالعمل معهم ، فقد كان ينقصهم أحد الرجال ورآنى موليون فأرسلنى الى هنا .

ـ وهل ينوى الحضور بنفسه ؟

ـ انه هنا .. انظر .. ها هو يتحدث الى حارس الباب .. ونحن اثنا عشر ، فيحسن أن تغادر الفندق .

ـ هل جننت .. لماذا أركن الى الفرار .

ـ سوف يستجوبك ، فاذا عرف انك المفتش فكتور .

ـ وما فى ذلك .. اننى أتنكر فى هذا الزى لأقوم بأبحاثى الخاصة .. فلا تهتم بى .

وتركه لارمونا فذهب الى حيث كان المفتش مونيسون ومضى معه الى حجرة مدير الفندق ثم عاد بعد قليل الى حيث كان فكتور فقال له :

ـ انه يفحص سجل الفندق ويأخذ أسماء الأجانب النازلين به . ويبدو أنه لا يعرف اسم الانجليزى ولذلك فسوف يستدعيهم واحدا بعد الآخر لاستجوابهم والاطلاع على أوراقهم الشخصية .

ـ ان أوراقى لا غبار عليها .. ولكن ما العمل اذ أراد أحد مغادرة الفندق ؟

ـ ان ستة من المفتشين يكمنون خارجه فاذا غادر أحد

الفندق قادوه الى حجرة المدير .. كما أن أحد المفتشين يراقب المحادثات التليفونية .

- وأنت ؟

- اننى مكلف بحراسة الباب الخلفى الخاص بالخدم والموردين فلا يخرج أحد منه حتى الساعة السادسة الا اذا كان يحمل تصريحا من المفتش موليون على احدى بطاقات الفندق .

ولم يتردد فكتور بل أسرع بارتقاء المصعد الى الطابق الثالث .. وفى تلك اللحظة كانت الأميرة الكسندرا تبدو فى باب حجرتها ترتدى ثوبا للخروج فهرع نحوها وأمسك بكتفها ثم دفعها الى داخل الحجرة وهى تقاومه غاضبة وتسأله عن السبب .

فأجاب :

- ان رجال البوليس يحاصرون الفندق ، ويفتشون النزلاء . ثم أغلق الباب خلفه والأميرة تزداد غضبا واحتجاجا ، وتقول :

- انك شديد الجرأة يا سيدى فباى حق تجرؤ على ..

- قلت لك ان البوليس يحاصر الفندق .

- وما شأنى بذلك ؟

- انهم يستجوبون الانجليز .. وسوف يسألون مستر بيمش بعد قليل .

فاهتزت أهدابها لحظات ثم قالت :

- اننى لا أعرف هذا الرجل ، ولا يعنينى أمره .

- أحقا ؟ أرجو ألا تضيعى الوقت هباء فان الخطر يتهددكما معا .

- فانتفضت الأميرة ولم يدر فكتور ان كان ذلك عن قلق أو من واقع الاهانة فى نفسها ، وما لبثت أن قالت :

- ان هذا الرجل لا يمت لى بصلة ، ولست أرى ما يدفعك الى هذا القول .

- اصغى الى قليلا .. لقد دخلت حجرة مستر بيميش وفتشتها قبل الآن .. فهل تدرين ما الذى وجدته فيها ؟ لقد وجدت المنديل البرتقالى ذا الخطوط الخضر الذى خنقت به اليز ماسون وسوف يجده رجال البوليس بدورهم .

فترنحت الأميرة وراحت تغمغم لاهثة :

- هذا ليس بصحيح .. انك تهذى .

- فاذا ما وجدوا المنديل فلن يلبثوا حتى يعرفوا حقيقة المرأة التى شوهدت تهبط درج المنزل المرأة القاتلة .

فألقت الأميرة بنفسها بين ذراعى فكتور فى فزع وهى تصيح :

- كلا .. كلا . انها لم تقتل أحدا . انها تفزع من مرأى الدماء ، ومن القتل .

ـ اذن من الذى قتل اليز ماسون ؟

فلم تجبه . وسرعان ما تبدد جزعها واستعادت هدوئها وقالت :

ـ ذلك لا يهم الآن . ولك أن تظن فى كما تشاء . ولكن لماذا احتفظ بيميش بهذا المنديل . لقد كان المتفق عليه أن يتخلص منه بأية وسيلة وهأنذا قد ضعت .

ـ لماذا ؟ . انك تستطيعين الخروج دون أن يمنعك شىء .

ـ لا أستطيع . لست أجد القدرة على ذلك .

ـ اذن ساعدينى على تحذيره . وسآخذ المنديل منه وأرشده الى طريق الفرار .

ـ اذهب اليه فى حجرته واطرق الباب طرقتين متتابعتين ثلاث مرات . وسوف يثق بك ويفتحه . ولكن ما الذى يجب أن أصنعه ؟ .

ـ ابقى هنا . وسوف أعود اليك بعد زوال الخطر .

ـ واذا لم تستطيع العودة ؟

ـ اذهبى يوم الجمعة الى ميدان سان جاك ، حيث تقابلنا فى المرة السابقة وانتظرينى هناك .

وكان الانجليزى يأوى الى حجرته منذ بضعة أيام ولا يغادرها بحجة أن قدمه مصابة برضوض شديدة فلما طرق

فكتور بابه على النحو الذى ذكرته له الأميرة ، فتحه له ورآه يسير وقدمه ملفوفة بالأربطة والضمادات .

وتم التفاهم بين الرجلين سريعا ، وكان الخوف قد تملك الانجليزى فأسلم قياده الى فكتور فى سهولة ويسر ، وتركه يأخذ المنديل البرتقالى بينما تناول فكتور احدى بطاقات الفندق من جيبه وخط عليها هذه الجملة :

« يسمح لحامله بالخروج . المفتش موليون » وأعطاها للانجليزى بعد أن أرشده الى الخروج من الباب الخلفى .

وفى اللحظة التى أوشك أن يغادر الحجره فيها ، طرق الباب ثم سمع مفتاحا يدور فيه ، واذا باثنين من مفتشى البوليس يدخلان وفى صحبتهما احد الخدم وهو الذى كان يفتح الابواب بالمفاتيح المحفوظة فى الفندق .

وعندئذ قال فكتور لصاحبه فى لكنة أجنبية :

ـ الى اللقاء يا سيدى العزيز . وأرجو أن تشفى ساقك عاجلا .

ثم تقدم نحو الباب فاعترضه أحد المفتشين قائلا فى أدب :

ـ معذرة يا سيدى . اننى المفتش روبو من ادارة المباحث الجنائية . هل تعرف هذا السيد ومنذ متى ؟

ـ مستر بيميش ؟ . لقد عرفته منذ بضعة أيام فى بهو الفندق .وقدم لى سيجارا ، فرأيت من الواجب أن أزوره بعد أن أصيبت ساقه . وانى أدعو ماركوس أفيستو .

- آه ! . انك بين الأشخاص الذين يود المفتش موليون أن يطرح عليهم بضعة أسئلة فهل لك أن تذهب اليه فى مكتب مدير الفندق ؟ . ولكن . هل معك أوراقك الشخصية ؟

- انها فى حجرتى .

- اذن فسوف يصحبك زميلى .

ثم التفت الى الانجليزى وساله ان كان يستطيع المشى فأجابه بالنفى وعندئذ قال لزميله :

- قل للمفتش أن يحضر الى هنا . وفى انتظار ذلك فسأقوم بفحص أوراق هذا الرجل .

وذهب فكتور مع مفتش البوليس الى حجرته فأحضر أوراقه وهبطا معا الى مكتب المدير ، فما كاد المفتش موليون يراه حتى أشار الى أحد مساعديه أن يفحص أوراقه اذ لم يكن يعنى الا بالانجليزى الذى يبحث عنه . فلما أخبره الشرطى الذى كان يصحب فكتور ان الانجليزى لا يستطيع الحضور بسبب اصابة قدمه نهض من مجلسه وقال له :

- تعالى معى .

وفى هذه الأثناء كانت أوراق ماركوس أفيستو قد تم فحصها فتبع مفتشى البوليس الى الطابق الثالث مختلطا بالمحتشدين حولهما بحيث لم ينتبها الى وجوده وهما يقرعان حجرة الانجليزى دون أن يسمعا جوابا .

وسرعان ما اقتحما الباب فاذا بالمفتش روبو ملقى على أرض الحجرة وقد أوثقت يداه وقدماه فذكر لهما بعد أن حلا وثاقه انه بينما كان يتحدث الى الانجلبزى فاجأه شخص من الخلف بضربة قوية فاغمى عليه . ولاريب انه أحد شركاء الانجليزى وكان مختبئا فى الحمام .

فاصدر موليون أوامره بالا يسمحوا لأحد بمغادرة الفندق ، وأن يقبض على كل من يحاول الفرار . ثم راح يفتش الحجرة والحمام المجاور لها دون أن يجد شيئا فاسرع بالخروج ليهبط الى الطابق الأسفل ، ولكنه ما كاد يصل الى باب المصعد حتى سمع ضجة تنبعث من الطرف الأيمن للممشى واذا ببعض النزلاء يحتشدون أمام الصالون الشتوى - ولم يكن يستعمل فى ذلك الوقت .

- وهم يحيطون بشىء آثار اهتمامهم . فخف اليهم موليون ، يتبعه رجاله ومن خلفهم فكتور واذا بهم أمام جثة غريقة فى الدماء ما كاد المفتش روبو يراها حتى صاح :

- أنه الانجليزى .. لقد عرفته الان .. هل قتل ؟

فقال أحد الحضور :

- كلا . ولكنه مصاب بجرح شديد من طعنة سكين فى الكتف .

فاسرع فكتور خفية الى الباب الخلفى حيث كان لاربونا قائما بالحراسة . وساله فى لهفة :

- ألم يخرج أحد من هنا ؟

- بلى . وهو رجل أحضر لى تصريحا من المفتش موليون .

- انه تصريح زائف . ألا تعلم من هو اذن ؟

- من ؟ .

- أرسين لوبين !

وفى هذه الأثناء كان رجال البوليس يفتشون انحاء الفندق ويسألون زملاءهم الذين يحرسون الأبواب وما لبث أحدهم ان عاد الى موليون فأخبره عن خروج الرجل من الباب الخلفى بعد أن قدم الى لارمونا تصريحا زائفا .

وعندئذ قال المفتش روبو انه لاحظ عند دخوله حجرة الانجليزى وجود محبرة مفتوحة فوق ، الخوان عندما كان السيد ماركوس أفيستو موجودا عنده ، فأمر موليون باحضار الرجل فورا ولكن البحث عنه فى الفندق لم يسفر عن أى أثر له كما انهم لدى تفتيش حجرته لم يجدوا بها الا بعض الثياب الداخلية ، وصندوقا كاملا لأدوات التنكر كان لا يزال مفتوحا .. فارغى موليون وأزيد قائلا أن ذلك الرجل الذى كان يزعم انه من أثرياء بيرو ليس الا أحد افراد العصابة ولاريب انه لايزال فى الفندق مادام لم يخرج منه سوى رجل واحد فقط .

وعندئذ قال له المسيو جوتييه مدير البوليس :

- يجب أن يفتش الفندق كله تفتيشا دقيقا . وسوف يساعدك فكتور فى ذلك .

- ولكنه ليس هنا .

- بل هنا . لقد قابلته الان عند حضورى وكان يتحدث مع زملائه فى الخارج فأخبرنى انه كان يمر امام الفندق فعلم بما حدث ، ولذلك بادر الى الدخول لعله يستطيع ان يمد لنا يد المساعدة .

ودعى فكتور فجاء يهنىء موليون بتوفيقه فى القبض على الانجليزى فقال موليون :

- أجل . ولكن لوبين ؟..

- آه ! . لوبين !. انه يخصنى أنا ، ولو لم تتسرع فى هذه الخطوة لقدمته اليك موثق القياد .

وفى تلك اللحظه أتى أحد المفتشين برجل انجليزى يدعى مارفنج قدم الفندق للتو وعلم من حارس الباب أنه استأجر حجرة فى الطابق الثالث بصفة مستديمة ولكنه لا يحضر اليها الامرتين فى الأسبوع حيث توافيه سيدة تسدل على وجهها نقابا كثيفا يخفى ملامحها .

وما كاد موليون يرى ذلك الرجل حتى صاح :

- ماذا ؟ . أنت ؟. أنت فليكس ديفال صديق جوستاف جيروم . الحميم ؟. لماذا تنتحل هذه الشخصية الجديدة بحق الشيطان ؟.

- اننى حر فيما أفعله . ثم ان الأمر لا يعنى أحدا سواى .

ـ والسيدة التى تقابلها خلسة ؟ تلك التى تخفى وجهها خلف نقاب كثيف ؟

ـ انها صديقة لى .

ـ هل هى متزوجة ؟

ـ كلا . كلا . ولكن لديها أسبابا خاصة تحملها على اخفاء شخصيتها .

ففحص موليون رسم حجرات الفندق وما لبث ان قال:

ـ ان حجرة هذا الرجل تقع فى الدور الثالث ايضا . وهى قريبة من الصالون الشتوى الذى اصيب فيه المستر بيميش الانجليزى .

فنظر اليه مسيو جوتيه نظرة ذات معنى وكأنما واتتهما نفس الفكرة معا . فهل يمكن ان يكون فليكس ديفال من أفراد العصابة أيضا ؟ وهل المرأة التى يقابلها خفية هى غادة سينما بلتازار وقاتلة اليزماسون ؟

وتحول كلاهما ينظران الى فكتور . ولكن هذا هز كتفيه وهو يقول فى سخرية :

ـ انكما تذهبان بعيدا . فليست هذه المسألة الا محض مصادفة لا قيمة لها . ولكن يحسن بنا ان نصفى الأمور ، ولذلك أرجو أن تسمح لى بشىء من وقتك يوما ما ياسيدى المدير .

وما ان انصرف رجال البوليس وحمل بيميش الانجليزى الى المستشفى حتى أراد فكتور ان يحذر الاميرة بازيلييف ، اذ قد يعترف الانجليزى بأشياء تضر بها . ولكنه عندما أراد الاتصال حجرتها علم أنها لا تجيب النداء . فأسرع الى حارس الباب وسأله عنها ، فأجاب :

ـ لقد غادرت الفندق منذ ساعة . وكانت أمتعتها قد حملت أمس ، وسددت حسابها صباح اليوم .

الفصل السابع

فى اليوم التالى دعا فكتور اليه لارمونا وكلفه بالتحرى عن حالة فليكس ديفال المالية . فاتصل به فى المساء وأبلغه ان الرجل غريق فى الديون ويحاول اصلاح شئونه بمضاربات يائسة تزيده سوءا على سوء . كما علم منه أن قاضى التحقيق قد دعا ديفال والبارونه دوترى وجوستاف وزوجته لمقابلته صباح الغد وأن المسيو جوتيه والمفتش موليون سيحضران هذا الاستجواب . فقال له فكتور انه سيحضره كذلك .

وفى الصباح ذهب فكتور الى فندق كامبردج وطلب أن يرى الحجرة التى كان ديفال يستأجرها . ثم مضى الى ادارة البوليس حيث اجتمع بالمحققين وطلب دعوة مدام دوترى وفيلكس جيروم أولا فدخلت الارملة ترتدى ثياب الحداد وعلى وجهها نقاب أسود كثيف وتبعها جيروم مرحا كعادته . وعندئذ بدأ فكتور حديثه :

ـ لقد أردت يا سيدى القاضى أن أزيل العقبات التى تعترض سبيلنا وأصحح الاخطاء والاوهام التى تسد علينا المسالك قبل ان نبدأ هجومنا الاخير على أرسين لوبين . والان فانى أوجه الى مدام دوترى سؤالا أرجو أن تجيبنى عليه فى صراحة : هل تعدين انتحار زوجك اعترافا منه يا سيدتى ؟

فرفعت نقابها عن وجه ذابل وعينين حمراوين أفرط البكاء وقالت :

– ان زوجى لم يتركنى ليلة الجريمة وهذه هى الحقيقة بعينها . فتحول الى جوستاف جيروم وقال له :

– انك تعلم يا مسيو جيروم انه توجد حقيقة أخرى .. فهل لك أن تتكلم ؟

– اننى لا أعرف شيئا .. لا أعرف شيئا قط .

– بل تعرف .. وسوف تضطرنى الى الكلام رغم ارادتى ورغم ما أسببه للبارونة من جرح عميق .

فبدت على وجه جيروم دلائل القلق والاضطراب وغمغم :

– أرجوك يا سيدى المفتش .. انك مقدم على أمر هائل .

– وكيف عرفت أنه كذلك ، الا اذا كنت تعلمه حق العلم ؟ فهل لك أن تتكلم ؟

فلم يحر جيروم جوابا . وعندئذ استطرد فكتور :

– فى مساء الجريمة قضى جوستاف جيروم وصديقه فليكس ديفال سهرة طيبة تناول فيها كثيرا من الشراب ، حتى اذا ما عاد جيروم فى الساعة العاشرة والنصف كانت الخمر قد عبثت بصوابه ، وزادته الكأس التى شربها فى الحانة بعد ذلك ثملا . واستطاع بالكاد أن يقود سيارته واذا به يجد نفسه أمام منزله .. أو هكذا خيل اليه .

فالواقع أن المنزل الذى ذهب اليه فى تلك الليلة لم يكن ذلك الذى يسكنه الان مع زوجته ، وانما ذلك المنزل الذى يملكه وكان يقيم فيه أكثر من عشر سنوات . فقد هيأت له الخمر أنه لا يزال كعهده عندما يعود من سهرات بباريس ، وكان المفتاح فى جيبه ، ذلك المفتاح الذى أثار النزاع بين البارون وبينه ، فكان من الطبيعى أن يستعمله . فلما دخل وجد كل شىء كعهده به ـ انه يعرف هذه الردهة . وهذه الأبواب . كان ذلك كله بعينيه الزائغتين وعقله المختلط . ثم ها هى حجرته . وكانت الحجرة مظلمة وتلك التى يظنها زوجته مستغرقة فى النوم .

وفى تلك اللحظة انبعثت مدام دوترى واقفة ، وقد شحب وجهها ولم تستطع النطق ، فجلست ثانية . بينما استطرد فكتور :

– وفتحت السيدة عينيها المثقلتين بالنعاس وخيل لها الوهم أنه ليس الا زوجها .. فسمحت له بأن يقبلها .. اليس كذلك ؟ . الست واهما بدورى ؟

فراحت مدام دوترى ترمق جيروم فى فزع مروع وكأنما استعادت ذاكرتها بعض التفصيلات الدقيقة ، فما لبثت أن تخاذلت قواها . وهوت راكعة أمام مقعدها وهى تخفى وجهها بين يديها .. بينما ظل جيروم يتململ فى مكانه فى قلق وقد شمله التردد . واخيرا غمغم قائلا :

ـ ما كان ينبغى ان تفشى هذا السر يا سيدى المفتش . لقد كان الأمر كما تقول . وكنت لا اعى شيئا . ولم ادرك الحقيقة المروعة الا عندما استيقظت فى الساعة السادسة من الصباح . ولعل مدام دوترى تغفر لى ما حدث .

فعلا الابتسام شفاه الحاضرين جميعا ، ولم يستطع قاضى التحقيق ان يكتم شعوره فاندفع يضحك ضحكا متواصلا تبعه فيه المسيو جوتييه ومولیون . بل جوستاف جيروم نفسه . ولم يبق على وجومه سوى فكتور الذى أخذ بيد مدام دوترى وهو يقول :

ـ شد ما أنا آسف يا سيدتى . ولكن كان ينبغى أن أفعل ذلك من أجل العدالة ، ومن أجلك أنت . وسوف تحمدين لى ذلك يوما ما .

وخرجت المرأة وهى تتجلل بنقابها وقد أحنى العار ظهرها . وما لبث جوستاف جيروم أن خرج من الحجرة فى اثرها .. واستطرد فكتور :

ـ انها هى التى ارشدتنى الى الحقيقة ، فقد كانت تتكلم عن عودة زوجها تلك الليلة والذكرى التى تحفظها لها فى حرارة غريبة كأنه أمر نادر الوقوع بينهما . فلما قال لى البارون فى المساء انه لا يكن لزوجته سوى العطف والاحترام ، لا الحب ، عجبت لهذا التناقض وذكرت فجأة قصة المفتاح الذى كان يتنازعه المالك والمستأجر . ففهمت حقيقة ما حدث .

فقال قاضى التحقيق : ومعنى ذلك ان البارون هو ...

ـ هو قاتل الأب ليسكو .

ـ وتلك المرأة . غادة سينما بلتازار ؟ .

ـ لقد كانت صديقة اليزماسون وعلمت منها ان البارون يسعى الى السندات وانه سيسرقها من الأب ليسكو فى تلك الليلة . فذهبت فى اثره ، لا لتسرقها ، فان المعلومات التى لدى تدل على انها ليست بسارقة ، ولكنها عصبية المزاج ومن هواة الانفعالات النفسية ، ولم تذهب الى هناك الا من قبيل الفضول ، فكان حضورها وقت ارتكاب الجريمة ، فاسرعت بالفرار نحو سيارتها .

ـ اى نحو ارسين لوبين ؟

ـ كلا . فلو ان لوبين هو الذى قام بهذا العمل لفعله خيرا من ذلك . ولكنه لم يكن يهتم وقتئذ الا بالصفقة الأخرى ، ذات العشرة الملايين . أما البارون فقد ظل يهيم على وجهه فى الطرقات طيلة الليل حتى انتهى به المطاف فى الصباح الى مسكن اليزماسون دون ان يعلم ان زوجته قد زودته بدليل نفى قاطع ينفى الشبهات عنه .

فلما علم ذلك من الصحيفة التى اشتراها عند محطة الشمال ، عدل عن الفرار ، واخفى السندات ، وعاد الى منزله . ولكنه ما عتم ان ادرك الحقيقة من حديثه مع زوجته ، وانها كانت تتكلم عن يقين ، فانهال عليها ضربا ولطما كما رأينا .

أما كيف اقحم حوستاف جيروم فى جريمة لم يرتكبها ، وكيف جمعت الأدلة الزائفة حوله ، فذلك ما سنعرفه من زوجه هنرييت • فهل لك ان تدعوها يا سيدى القاضى ، وكذلك فليكس ديفال ؟

فدخلت المرأة الشابة فى ارتبـــاك وحياء ثم اتخذت مكانها فى المقعد الذى قدمه لها قاضى التحقيـــق • وفى تلك اللحظة اقترب منها فكتور وانحنى على الأرض امامها كأنما يلتقط شيئا وكان ذلك مشبكا نحاسيا صغيرا ممـــا تستعمله السيدات لشعرهن • ففحصه لحظة ثم تدمـــه لهنرييت فتناولته فى حركة طبيعية ووضعته فى شعرها ، فقال فكتور :

- هل هو مشبكك يا سيدتى ؟

- نعم •

- وهل انت واثقة من ذلك ؟

- تماما

- اعلمى اذن اننى لم اجده هنا • ولكننى عثرت عليه بين مشابك اخرى فى اناء من البلور فى الحجرة التى كان يستأجرها ديفال بفندق كامبردج • ومعنى ذلك انك لست الا عشيقته المجهولة •

وكانت المفاجأة من العنف بحيث امتقع وجه الســيدة وراحت تنظر الى فليكس ديفال فى اضطراب بينما كان

هذا مشدوها ذاهل اللب ، ثم حـــاولت أن تغمغم ببعض الأقوال ولكن فكتور قاطعها قائلا :

- لا فائدة من الانكار يا سيدتى ، فلدى عشرون دليلا من هذا القبيل • وقد شاءت الصدفة ان تختارا عشـــا لغرامكما ذلك الفندق الذى اتخذه ارسين لوبين مـــركزا لقيادته •

وتقدم فليكس ديفال بعد ان استعاد هدوءه ، فقـــال للقاضى :

- اننى لا اقبل يا سيدى القاضى هذا التهجم على سيدة شريفة •

فقال فكتور : اننى يا سيدى العزيز لا أعدو ان اذكـــر الحقائق التى يمكن التثبت من صحتها فاذا ما اقتنع سيدى القاضى بأنك عشيق مدام جيروم حقا ، فسوف يسائل نفسه ان لم تكن انت ذلك المجهول الذى تحـــدث الى المفتش موليون تليفونيا وطلب اليه تفتيش مكتب جيروم • وانك الذى اغريت عشيقتك على ان تنتزع رصاصتين من مسدس زوجها ، ثم أغريت البستانى ، وهو احد صنائعك ، على تلك الاكاذيب التى ذكرها •

- ولـــكن ما فـــائدتى من ذلك كله ؟ لا ريب انك قد جننت •

- لقد اصابك الدمار يا سيدى العزيز واصبحت لا تملك شيئا ••
ولكن عشيقتك مثرية ومن السهل ان تنال الطلاق من زوج

اتهم فى جريمة قتل ، حتى ولو ظهرت براءته فيما بعد . وعندئذ تستطيع ان تتزوج منها .

فنكس ديفال رأسه ، فكان الدليل القاطع على صحة ما تقدم . واستطرد فكتور قائلا للقاضى :

- وهكذا نرى يا سيدى سر قضية السندات المسروقة ، ومصرع الأب ليسكو . اما مقتل اليزماسون فسوف احدثك عنه فيما بعد .

وانقض الاجتماع . وفى الردهة امسك المسيو جوتييه بذراع فكتور وقال له :

- لقد كنت شديد البراعة يا فكتور ! .

- وكان لا يمكن ان اكون أكثر توفيقا من ذلك لو لم يتدخل موليون فيفسد خطتى ، فقد اختار ان يهاجم الفندق فى الوقت الذى كنت امسك العصابة كلها بين يدى

- أنت ! ؟ هل كنت هناك ؟

- بل فى حجرة الأنجليزى بيمش .

- ولكن لم يكن بها سوى ذلك الأمريكى ماركوس افيستو !!

- الحقيقة يا سيدى الرئيس ان ماركوس أفيستو هو فكتور . وبالعكس ، ولكنى اعدك بأن اصلح خطأ موليون ، وان اسلمك ارسين لوبين لقمة سائغة بعد خمسة أيام أو ستة ، ولكن لا تخبر أحدا بذلك .

ومضى فكتور فى طريقه والغبطة تملأ جوانحه . فقد تخلص من كل ما يتعلق بسرقة السندات ، وجريمة الأب ليسكو ، وجوستاف جيروم وفليكس ديفال وترك للبوليس ان يصفى حسابه مع هؤلاء السادة ، وبذلك ايضا يستطيع ان يخصص كل رقته لغايته العظمى ، فلم يبق لديه سوى أرسين لوبين ، والكسندرا .. فهما وحدهما اللذان يهمانه الان .

ومن ثم قام بجولة واسعة عاد بعدها ماركوس افيستو مرة أخرى . وفى الساعة الثالثة كان قد بلغ ميدان سان جاك . فقد كان اليوم الجمعة وهو الموعد الذى ضربه للاميرة الكسندرا عندما فارقها فى فندق كامبردج .

(★)

وكان فكتور واثقا من ان الاميرة سوف توافيه الى هذا الموعد فجلس على أحد مقاعد الحديقة ينتظر فى هدوء وكان على مقربة منه بعض الصبية يلعبون فى الرمال بينما جلس على المقعد المقابل رجل يخفى وجهه خلف صحيفة نشرها بين يديه .

فلما تجاوزت الساعة الثالثة دون ان تحضر الأميرة بدأ القلق يساوره ، وشاع الاضطراب فى نفسه . هل اعتزمت ان تقطع صلتها به ؟ . وكيف يستطيع اذ ما فقد اثرها ان يصل الى ارسين لوبين عندئذ حانت منه نظرة الى ساقى الرجل الجالس امامه فادار وجهه الى الناحية الأخرى

ليخفى الابتسامة التى تراقصت على شفتيه . ثم انتظر خمسة دقائق أخرى ونهض يسير الى باب الخروج .

وعندئذ احس بيد توضع على كتفه واذا بالرجل يعترض سبيله قائلا :

ـ مسيو ماركوس افيستو . اليس كذلك .؟

ـ تماما . وانت . ارسين لوبين بلا ريب ؟.

ـ نعم ولكنى ادعى الان انطوان بريساك .. فلا تنس ذلك وانا صديق الأميرة بازيلييف .

وعرفه فكتور فهو الرجل الذى كان مع الانجليزى بيميش فى بهو الفندق . وتأمله مليا فرآه وسيم الطلعة تبدو فى نظراته لمحه من الصلابة يخفيها ابتسامته الرقيقة .. وكان عريض المنكبين ذا جسم رياضى رشيق ، وفكين عريضين ينمان على صرامة وعزم . فقال له :

ـ لقد رأيتك من قبل فى فندق كامبردج .

ـ آه ! اذن انت لا تنسى وجها رأيته .. لقد كنت هناك حقا قبل ان التزم حجرة بيميش كجرحى الحرب . وقد كانت اصابتى طفيفة ولما جئت تنذر بيميش كنت قد شفيت منها .

ـ ولذلك كافأته بهذه الطعنة ؟ .

ـ وماذا افعل . لقد أبى الوغد أن يعطينى تصريح

الخروج الذى زودته به ، ولكن دعنا من ذلك الانْ وهيا تحضر امتعتك فانى ادعوك لقضاء بضعة أيام فى ضيافتى .

ـ هل الأمر عاجل لهذا الحد ؟.

ـ عاجل ؟ انها صفقة كبيرة .. عشرة ملايين ! .

ـ والأميرة ؟ .

ـ انها تنتظرك .

(★)

ودرجت بهما سيارة بريساك الى ضاحية مونيلى حيث وقفت أمام منزل صغير ذى طابقين ومضى بريساك بفكتور الى مخدع صغير مجاور لحجرته فى الطابق العلوى ثم تركه ليخرج ثيابه من حقيبته . فلما خلا فكتور بنفسه راح يدخن فى استرخاء حتى جاء بريساك فى الساعة التاسعة ليصحبه الى حجرة الأميرة فى سرور وهى تشكره على العناء الذى تجشمه من اجلها ومن اجل اصدقائها فى كامبردج وما كاد يتم العشاء حتى استلقت على اريكة فى ركن الحجرة ولم تشترك فى الحديث الذى بينهما قط .

وجلس فكتور فى مقعد مريح هائنا راضيا .. فالأمور تسير وفق هواه وها هو يضحى موضع ثقة ارسين لوبين .

بل ساعده الأيمن ، وسوف تنتهى المغامرة كما يحب ويهوى . وها هو يمسك ارسين لوبين بين اصابعه ويحيط بشباكه .

وبدأت بريساك الحديث قائلا : لست ارى داعيا للمقدمات بيننا ويجدر بى ان اقول لك ان تلك الصفقة ذات العشرة الملايين قد جاءنى بها بيمش . فقد تزوج من احد فتيات اثينا . وكانت تعمل عند رجل يونانى بالغ الثراء .

وقد قتلت تلك الفتاة فى أحد حوادث القطارات ولكنها كانت قد ذكرت لبيميش بعض معلومات عن مخدومها الثرى .. ذلك أن هذا اليونانى خشى تدهور العملة فى بلاده على اثر الحرب فباع أملاكه ومقتنياته جميعا وأنشأ ملفين يخص كل منهما نصف ثروته .. فاودع الأول فى أحد المصارف الانجليزية ودعاه (ملف لندن) أما الثانى فقد ادعاه (ملف ا . ل . ب) مما يعنى بلا ريب : البانيا .. ومن عجب انه على حين كان الملف الأول كبير الحجم متضخما كان الثانى ربطة صغيرة طولها خمسة وعشرون سنتيمترا ، مختومة بالشمع الأحمر يحتفظ بها فى درج مكتبه أو يحملها فى حقيبته عند سفره فعلى أى صورة يحوى هذا الملف الصغير عشرة ملايين من الفرنكات هذا هو السر ؟ .

وقد اتاح لى نظام عصابتى الدولية أن أجمع التحريات عن هذا اليونانى حتى علمت أنه يقيم الان فى باريس ، وانه مريض لا يغادر منزله قط ويقيم فى الطابق الأسفل فى حراسة شرطيين سابقين استخدمهما لهذا الغرض .

كما علمت ان ابواب المنزل ونوافذه ، عدا الطابق العلوى ، متصلة بأجراس كهربائية تنذر بالخطر اذا ما حاول احد ان يسطو عليه .

ولا ريب انه ما كان ليحيط نفسه بكل وسائل الحذر والحيطة ما لم يكن يخفى فى المنزل شيئا ثمينا يحرص عليه ، ولا يمكن ان يكون ذلك الشىء سوى الملف (ا . ل . ب) . وقد علمت انه يحمل كل يوم الى الطابق العلوى فيظل فى حجرة مكتبه عدة ساعات .. ولا ريب ان الملف الذى يحوى ثروة موجودة فى تلك الحجرة .. ولكن اين ؟ .. اين ؟ .. وقد اعددت خطتى الان للسطو على منزل اليونانى واعتمد عليك لمعاونتى فى ذلك .

ـ وما هى شروطك ؟

ـ ربع الصفقة .

ـ كلا .. النصف اذا اعثر على الملف (ا . ل . ب)

ـ لن ادفع لك سوى الثلث .

ـ لا بأس .. اتفقنا .

وعندئذ وثبت الأميرة من مضجعها هاتفة :

- ان لى شرطا واحدا انا الأخرى .. وهو الا يراق دم قط فى تلك المغامرة ، وكفى اننى مازلت فى نظر الناس ، بل فى نظرك انت ايضا يا مسيو افيستو ، قاتلة اليزماسون .. انا او العصابة التى اتصلت بها .

- من قال ذلك ؟ ان الذى قتل اليزماسون شخص لا يمت لكم بصلة .. والرجل الوحيد الذى يمكنه ان يذكر اسم القاتل الحقيقى لم يجد فى نفسه الجرأة على ذلك .

- ومن هو ؟

- المفتش فكتور .

- ماذا تعنى ؟

- انها فكرة خطرت لى من مجرى الحوادث وقراءة الصحف بامعان .. ولم يجرؤ فكتور على ذكر الحقيقة لانه رغم براعته ودهائه قد ارتكب شططا عن غير عمد .. اجل .. لقد قتلت اليزماسون بسبب اهمال فكتور .. فقد ترك البارون دوترى فى السيارة بمفرده ليتحدث فى التليفون ولم يستطع الاتصال بادارة البوليس الا بعد مدة طويلة كانت كافية لأن يعود البارون ادراجه الى المنزل ليرى اليزماسون ثانية .. وكان المفتاح فى جيبه .

- ولماذا يعود ؟ .

- لقد ذكرت الصحف ان المرأة ذعرت عندما علمت ان عشيقها ليس متهما بسرقة السندات فحسب .. وانما بمقتل الأب ليسكو .. فتملكها الذعر والفزع واستشعرت خوفا من الرجل ، ومن العدالة .. وأدرك دوترى من نظرتها انها لابد واشية به يوما ما ، فأراد أن يراها ثانية ليقنعها بالصمت ، ويبدو انها هددته . فقتلها . أما انت فقد ذهبت بعد ذلك بساعة أو ساعتين لزيارة اليزماسون لترى ما الذى اعتزمت عمله بعد ان أفلح البارون فى سرقة السندات فى الليلة السابقة أمام عينيك .. ووجدت المفتاح فى الباب فلما دخلت رأيتها صرعى ، وقد خنقت بالمنديل البرتقالى ذى الخطوط الخضر الذى كان هدية منك لها .. فأخذته .

فقالت ألكسندرا وهى تلهث :

- تماما .. ان الأمر كما تقول .. لقد وجدته على الأرض فالتقطته .

- فالتفت بريساك الى فكتور وربت على كتفه قائلا :

- لله درك !. لقد وقعت على مساعد عظيم حقا .. ولسوف تأتى بالعجائب عندما تعمل معا يا ماركوس افستو .. ولكنى لم أتم حديثى بعد ، فاعلم ان اليونانى يدعى سريفوس ويقيم بشارع مايو رقم ٩٨ مكرر أمام غابة

مولولنيا .. وسوف نقوم بالعملية يوم الثلاثاء القادم وسينتظرنا ثلاثة من أعوانى عند الباب الخلفى حتى نفاجىء اليونانى وحراسه ونوثق قيادهم .

★ ★ ★

وقضى فكتور الأيام التالية وهو يستشعر نشوة فائقة فقد دنا يوم انتصاره ، ولكنه التزم جادة الحذر فلم يغادر المنزل ولم يتحدث فى التليفون أو يرسل أية رسالة ، وكان يجد لذة قصوى وهو يرقب من كثب ذلك الرجل الذى طالما تحدث الناس عنه دون أن يروه ، ذلك الطاغية الجبار . أرسين لوبين ، أو انطون بريساك كما يدعو نفسه الآن .

« ★ »

والحت الكسندرا فى مرافقتهم ولكن عشيقها لم يوافقها على ذلك الا بعد أن تدخل فكتور فى الأمر قائلا :

ـ كيف تخشى عليها الخطر وهى فى رفقة أرسين لوبين العظيم ؟

وفى الليلة المعهودة سار ثلاثتهم ، وبريساك يحمل حقيبة متوسطة الحجم حتى بلغوا منزل اليونانى فراحوا يتسكعون حوله قليلا حتى يأمنوا المباغتة .. فلما اطمأنوا أخرج بريساك سلما معدنيا من حقيبته وأخذ يمده حتى

استندت أطرافه العليا على افريز احدى نوافذ الطابق العلوى ثم قال :

ـ سوف اقطع زجاج النافذة ثم أفتحها من الداخل . وسأصعد أولا حتى اذا ما فتحت النافذة تبعتنى الكسندرا . ثم انت يا ماركوس .

وتسلق بريساك السلم بخفة الهر .. ثم تلته الكسندرا . وقد عاودها شحوبها ووجومها . وعندئذ قال فكتور لنفسه :

ـ ها هما الآن فى قبضة يدى . وليس على الا أن أكلم المسيو جوتييه فى تليفونه الخاص فيحضر ليتسلمهما لقمة سائغة ، ولكن لا .. يجب أن أقهر هذا الوغد وهو فى عنفوان قوته .. عندما يكون متلبسا بالجريمة ! ..

وكان بريساك يستحثه على الصعود خلفهما فأشار اليه بالانتظار قليلا واستطرد مناجيا نفسه :

ـ لا تتعجل القضاء يا صديقى ، فهلا تخشى السجن ؟. ألا أستمتع بالراحه الان وانعم بالنجاح .. واحصل على الملايين العشرة .. فهذه آخر مغامراتك يا سيد لوبين .. أما بعد ذلك فالسجن ..

ثم تسلق السلم فى سرعة ونشاط .

الفصل الثامن

ما ان خطا فكتور الى الداخـل حتى أسدل بريسـاك الستار فوق النافذة ثم أضاء نور الحجرة واحتضن الكسندرا وراح يراقصها . بينما اتخذ فكتور مجلسه فى مقعد وثير . فلما فرغ بريساك من عبثه التفت الى فكتور قائلا . هل هذا وقت الجلوس ؟. هلم الى العمل .

ولكننى أعمل على طريقتك أيهـــا الزعيم . اجلس مكانى وأفكر .

ـ بل هيا بنا نفتح الباب لزملائنا أولا . هل تخافين وحدك يا ألكسندرا ؟

ـ كلا .. كلا .. اذهبا .

ففتح بريساك باب الحجرة فى هدوء واذا أمامهما بهو صغير ذو باب اخر يفتح على الردهة الخـــارجية المؤدية الى الدرك . فهبطاه فى حذر وحرص وبحثا عن جهـاز الانذار فعطلاه ثم ذهبا الى الباب الخلفى ففتحاه فى خفة وأطل بريساك منه ثم أطلق صفيرا خافتا ما لبث أن جاء على أثره ثلاثة رجال غلاظ الأجسام فأغلق الباب على أثر دخـولهم دون أن يقول لهم شيئا وانمـا قادهم الى حجرة الحارسين ثم انثنى الى فكتور قائلا :

ـ سأدخل معهما ، ولسنا فى حاجة اليك الان فابق هنا للمراقبة .

وما كاد يختفى مع أعوانه حتى أسرع فكتور ففتح الباب ثم أسرع الى الحديقة ففتح بابها وتركه مواربا وعاد الى مكانه ثانية وبعد قليل رجع بريساك فقال له :

ـ ولقد تم كل شىء على ما يرام ، ولكنى لم أستطع أن أعرف شيئا من ذلك اليونانى اللعين الذى كاد يموت من الخوف فهيا بنا الى المكتب ثانية ، وقد أمرت الرجال بأن يبقوا هنا لحراسة الأسرى .

فلما صعد أغلق بريساك باب البهو الخارجى بالمفتاح وعادا الى حيث كانت الأميرة جالسة فى مكانها بلا حراك فسألها فكتور :

ـ ألست خائفة ؟

ـ بلى . بلى لقد بدأ الخوف يدب فى عروقى .

فصـاح بها بريساك : هـذا سخف يا ألكسندرا .. فيم الخوف ونحن هنا آمنون كأننا فى منزلنا ؟

ثم بدأ يفحص الحجرة وهو يحدث نفسه بصوت عال :

ـ ان المشكلة هى أن تجد ملفا صغيرا طوله خمســة

وعشرون سنتيمترا ويمكن أن يحوى عشرة ملايين من الفرنكات على صورة ما . فأين هو ؟. لنبدأ بالمكتب فما الذى فوقه ؟. جهاز التليفون . بعض الكتب ، سجلات حسابية ، مراسلات مع اليونان وانجلترا ، والأدراج أوراق ومراسلات أخرى ، الا يوجد درج سرى ؟ . كلا ثم ماذا ؟ علينا بهذا الرف . أشياء تذكارية من اليونان . صور لفتاة صغيرة هى حفيدة اليونانى . صندوق الحلى خال من أى شىء وليس له قاع مزدوج . ألبوم للصور . ألبوم للأطفال . طوابع بريد . كتب مصورة للأطفال . صندوق لأوراق اللعب .

وهكذا راح ينقب فى أنحاء الحجرة جميعا يرفع الأثاث ويدق على الجدران ، ويفحص كل شىء تقع عليه عيناه .

ولم يتحرك فكتور من مكانه وظل يرقب بريساك بعينين يقظتين حتى اذا ما مضى وقت طويل وقال له : ان الساعة الآن الثانية ، ويجدر بنا أن ننسحب .

ـ هل جننت ؟ لماذا ؟. هل أنت خائفة يا عزيزتى كهذا الأبله .

فقالت الأميرة : نعم . نعم . هيا بنا .

فنفذ صبر بريساك وصاح بها :

ـ ألم أقل لك . ان النساء العصبيات أمثالك يجدرن

بهن الا يغادرن منازلهن . ولكنى لن أعود صفر اليدين واترك عشرة ملايين .

وعندئذ نهض فكتور بغتة وهو يغمغم : اصغ .

ـ لست أسمع شيئا .

ـ لقد خيل الى .

وسادهم الصمت برهة بينما كان بريساك يوالى بحثه ، ومن جديد انبعث فكتور يقول :

ـ اصغ ، أصغ .

ـ ماذا أيضا . ليس ثمة من شىء .

ـ اننى موقن من حقيقة ما سمعت .

وتململ بريساك من هذا المساعد العجيب فصاح به :

ـ ألا تكف عن هذا الهراء وتساعدنى فى البحث .

فلم يتحرك فكتور من مكانه ، وفى تلك اللحظة دوى صوت محرك سيارة . ثم نباح كلب فى الفناء المجاور . فقال فكتور :

ـ لقد فاتك شىء يا بريساك . فان القمر قد أشرق الآن وهو يلقى بأشعته على النافذة وسوف يبدو السلم واضحا للعيان .

فهز بريساك كتفيه فى غير اكتراث ولكنه أراد أن يتحقق من هذا القول فأطفأ النور وأزاح الستار وراح يطل من النافذة . وعندئذ سمعه فكتور والكسندرا يشتم شتما قبيحا وهو يرتد فى فزع قائلا :

ـ لقد اختفى السلم .

فأسرع فكتور ينظر بدوره . ثم عاد ليؤكد ما قاله الآخر ، وأضاف :

ـ ان السلم لا يستطيع أن يتحرك بنفسه ، فمن الذى رفعه . هل هم رجال البوليس ، اننا اذن مهددون بالخطر ، وسنسقط فى الشرك كالأغرار .

ـ دعك من هذا الهذيان . فلن يمنعنى شىء عن اتمام عملى .

وكف عن الكلام فجأة ، فقد انبعث من الطريق صوت خافت متصل ، بينما همس فكتور :

ـ هل سمعت الآن !

ـ نعم ، نعم ، لا ريب انه أحد المارة يعود الى منزله متأخرا .

ـ أو أولئك الذين رفعوا السلم . ولعلهم ذهبوا لاستدعاء البوليس .

وكان ذلك فوق الاحتمال ، كان خطرا حقيقيا لقد ارتعدت أوصال بريساك نفسه . فقد كان الخطر مجهولا لا يدرون كيف ينقض عليهم فجأة .

★ ★ ★

وعاد بريساك ينقب فى الحجرة من جديد والعرق يتصبب من جبينه ، حتى هتفت الكسندرا فجأة : اننى ما عدت أحتمل أكثر من ذلك .

فقال بريساك : حسنا . هيا بنا . سوف نخرج من الباب

ولكن فكتور ظل جالسا مكانه . وهو يقول : أما أنا فسأبقى !

ـ ما هذا الذى تقوله . سوف نهرب جميعا .

ـ كلا . فاننى متى بدأت عملا فلا بد لى أن أتمه . وسوف أحل المسألة بطريقة أخرى . فانك لا تعرف كيف تبحث . وكذلك أنا ، ومع ذلك فهناك أخصائيون لذلك ، ككل شىء الآن . وسوف أدعو أحدهم .

ودنا من جهاز التليفون فطلب رقما . فصاح به بريساك :

ـ ماذا تفعل أيها الأحمق ؟

- الشىء الوحيد الذى ينبغى أن افعله ، فما يجب أن أترك هذه الفرصة الثمينة التى قد لا تسنح لى قط وسوف أدعو أحد أصدقائى • وهو رجل شديد البراعة كما سترى ، آلو ، هذا أنت أيها الرئيس • اننى ماركوس أفيستو ، وأنا الآن فى منزل ذى طابقين بشارع مايو رقم ٩٨ مكرر وسوف تجدنى فى الطابق العلوى ، فتعال الآن ، واحضر بعض الرجال ومنهم لارمونا ، وستجد باب الحديقة وباب المنزل الداخلى مفتوحين ، كما ستجد فى الطابق الأسفل ثلاثة من أعوان أرسين لوبين ، أما هنا فسوف تجد لوبين نفسه ، مهزوما ، ذليلا ، موثوق القياد كالمومياء •

وتمهل فكتور لحظة وهو يخرج مسدسه ويصوبه الى بريساك الذى كان يهم بالانقضاض عليه وصاح به : مكانك يا لوبين ، والا قتلتك ككلب حقير •

ثم استطرد فى حديثه فى التليفون :

- أفهمت يا سيدى الرئيس • سوف تكون هنا بعد نصف ساعة ولكن هل عرفت صوتى • أجل ، ماركوس أفيستو ، أو بالأحرى • أو بالأحرى •••

وكان يبتسم لبريساك وينحنى أمام الاميرة وهو يتم عبارته قائلا :

- أو بالأحرى فكتور ، المفتش ببوليس الآداب •

واحتمل بريساك الصدمة دون أن يبدو عليه الانزعاج وما لبث ان أخرج مسدسه بدوره ولكن الأميرة ألقت بنفسها عليه وهى تصيح : كلا ، اما هذا فلا •

ثم اختطفت المسدس من يده ، وعندئذ ألقى فكتور مسدسه فى ركن الحجرة وهو يقول :

- ان النتيجة واحدة يا صديقى ، فبعد نصف ساعة يضع رئيسى العظيم مسيو جوتييه يده على كتف السيد لوبين •

- أجل ، ولكن الى أن يحين ذلك أيها الوغد • سوف نرى •

ثم عقد ذراعيه فوق صدره العريض فبدت قوته الهائلة بجانب ذلك المفتش ذى الوجه المتغضن والكتفين الضامرتين• ومع ذلك فقد راح فكتور يقول :

- الى أن يحين ذلك سوف تظل هادئا يا عزيزى لوبين • أجل انك تسخر الآن من هذا النضال الذى تراه غير متكافىء • النضال بين أرسين لوبين القوى ، وفكتور العجوز المتداعى • ولكن لا يا صديقى ، فليس للقوة البدنية شأن اليوم • وانما الفوز للعقل دون غيره • ولقد أظهرت يا لوبين ان ذكائك الخارق قد خانك • فكيف ذلك ؟• وما هذا التخبط ؟• لوبين الشهير الذى كنت

أظن اننى ملاق أشد العناء فى نضاله ؟. لوبين الذى لا يقهر ؟. لوبين العملاق العظيم ؟. آه !. اننى لأسائل نفسى ان كان نجاحك حتى الآن سببه انك لم تلق قط خصما قويا . مثلى . مثلى .

وراح يقرع صدره بقبضة يده وهو يردد فى قوة :

ـ أجل مثلى أنا . مثلى أنا .

فهز بريساك راسه وقال وهو منهمكا : لقد أجدت تمثيل دورك أيها الوغد فخدعتنى . ولكنك لن تنالنى بسهولة .

ـ ها . ها . انك ترتعد يا لوبين . فماذا أنت صانع اذن عندما يقبض البوليس على عنقك ؟. أجل . هذا ما أردته . لقد عنيت بأن أظهرك على حقيقتك أمام عشيقتك . اردت أن أريها انك لا تقل جبنا عن نعامة . ها . لقد اختفى السلم !. لا يا سيدى انه لم يختفى ولكنى أزحته بقدمى عندما خطوت الى الحجرة . ألا تتحرك أيها النذل . ان عشيقتك تنظر اليك وتترقب ما تفعله . هل انت مريض . أم أصابك الشلل ؟

فقال بريساك لألكسندرا : هل لك أن تفتحى الباب يا عزيزتى ؟

ولكن المرأة لم تتحرك من مكانها فأسرع بريساك الى

الباب بنفسه واذا بالشتائم تنثال من فمه وهو يغمغم : يا للعنة ! انه موصد !

فقال فكتور ضاحكا :

ـ ألم تدرك ذلك الا الآن ؟ ان الفتاح فى جيبى . ولن أعطيه لك فبينك وبين الفرار قوة لا تقهر . هى ارادة المفتش فكتور .

فسار اليه بريساك متمهلا والشرر يقدح من عينيه ، بينما استطرد فكتور :

ـ هيا .. تقدم ولتأخذك الشفقة بشعرى الأشيب .. تشجع .

فانقض عليه بريساك وسقطا يتدحرجا معا على الأرض وقد نشب بينهما صراع عنيف كانت ألكسندرا ترقبه فى فزع دون أن تقوى على الحراك .. وأخيرا قام أحدهما وهو يبتسم ..

ولكنه لم يكن أنطوان بريساك .. بل المفتش فكتور .. فقال لها :

ـ هل يدهشك هذا ؟ انها ضربة خاصة لا تخيب أبدا ، ولكن لا تراعى ، فلن يلبث أن يفيق .

ـ ما الذى أنت صانع به ؟

ـ سوف أسلمه للعدالة ، أما أنت فيحسن ان تذهبى بلا امهال .

ـ كلا .

ـ على رسلك ، ثقى انه لا توجد قوة على الأرض تجعلنى أعفو عنه ، اننى لا أعمل منذ شهر كامل الا لهذا الغرض ! للقبض عليه ! ورفع القناع عن حقيقته ، واننى لا أمقته فقط ، ولكنى أحتقره ، انظرى اليه وهو طريح كالخنزير الذبيح ، واعترفى انه قد خدعك ، لقد كنت تتوقعين أن ترى ما هو أفضل من ذلك ، أهذا هو لوبين الذى تسلط على عقلك ومشاعرك ؟

وراح يضحك فى جذل فقالت لاهثة :

ـ هل خدعنى ! من هو اذن ؟

ـ أنطوان بريساك .

ـ أجل ، أجل ، ولكن من هو أنطوان بريساك .

ـ انه هو لا أكثر ولا أقل ، لص حقير لا يعرف حتى مبادىء مهنته ولكن ألا تذهبين ؟ اننى أسمع صوت سيارة

البوليس وها هم رجالنا ، لا بأس . ضعى منديلك فوق وجهك ولا تخشى شيئا .

وبعد قليل كان المسيو جوتيه يدخل الحجرة وهو يصيح فى عجب :

ـ يالله ما أروع هذا يا فكتور ، انه يوم خالد فى تاريخ العدالة .

★ ★ ★

وكان بريساك قد أفاق من اغمائه وراح ينظر بعينين شاردتين الى القيود التى أحاطت بمعصميه بينما استطرد مسيو جوتيه : ومن هذه المرأة ؟

ـ انها عشيقة لوبين وشريكته .

ـ مرحى . مرحى . سوف تقص علينا تفاصيل ذلك فيما بعد ولكن سندات الدفاع الوطنى ؟

ـ انها فى جيبى يا سيدى الرئيس .

فغمغم بريساك فى حنق : يا لك من وغد !.

ـ أكنت تظنها فى مأمن أيها الغر الأحمق . شق قديم

فى منزلك فى تويللى ؟ . لقـد اكتشفت مـــكانها منذ الليلة الأولى .

وجاء بقية الرجال ومعهم اليونانى سرفيوس يستند الى حارسيه فما ان وقع بصـره على بريساك حتى صاح : أجل ، انه هو ، هو الذى ضربنى وأوثقنى .

وأمسك عن الكلام بغتة وراح يحرك ذراعيه فى فزع وهو يشير الى الرف الذى يجاور مكتبه :

ـ لقد سرقت ملايينى العشرة . انه البوم الطوابع . وفيه مجموعة لا تقـدر بمال . أيهـا التعس المنكود . عشرة ملايين .

وراحوا يفتشوا بريساك ولكنهم لم يجدوا شيئا معه بينما قال فكتور :

ـ اننى أعجب لمـا يقوله مسيو سريفوس فقد صحبت أنطوان بريساك الى هنا ولم أكف عن مراقبته لحظة ، ولا ريب ان الألبوم قد سرق من قبل .

وبعد قليل كانت سيارتا البوليس تمضيان فى طريقهما الى ادارة الشـرطة وفى الأولى مسيو جوتيـه وأنطوان بريساك وبعض الرجال ، أما الثانية فكان فيها المفتش فكتور والأميرة بازيلييف ولارمونا .

وقد وصلت الأولى الى الادارة .. أما الثانية فلم تصلها

ولكن لارمونا عاد والسائق ليذكرا لرؤسائهما أن فكتور أوقف السيارة أمام مشرب صغير يرتاده صائدوا السمك فى الصباح الباكر وطلب الى لارمونا أن يحضر لهم بعض القهوة الساخنة ولم يلبث أن أرسل السائق فى أثره ليطلب اليه ان يجلب بعض الفطائر أيضا .. فلما خرج لم يجد السيارة ومن فيها .

وعجب مسيو جوتيه أى عجب . وبعث بمن يبحث عن فكتـور فى منزله . واذا بالمـنزل خال قد هجروه ساكنوه .

ولكن هذا العجب لم يلبث أن تبدد عندما نشرت فى الصحف فى الصباح التالى خطاب من أرسين لوبين تناقلت أسلاك البرق خبره فبعث فى العالم قاطبة عاصفة مدوية من الضحك والدهشة .

« يجدر بى أن أعلن للملأ أن المفتش فكتور ، ببوليس الآداب ، قد انتهى الى غير رجعة فقد كانت مهمته فى الأيام الأخيرة منصبة على هدف واحد . فهو اقتفاء أثر أرسين لوبين المزيف ، ورفع النقاب عن وجه ذلك الأفاق أنطوان بريساك الذى أراد أن ينتحل اسم أرسين لوبين العظيم وشخصيته اللامعة .

وقد سلمنى فكتور قبل اختفائه سندات الدفاع الوطنى المسروقة وكلفنى أن أعيدها الى مسيو جوتييه حرصا منى على شرفه كشرطى أمين . وهأنذا أنفذ رغبتـه وسوف يجدها مدير البوليس فى مكتبه صباح الغد .

« وأما الملايين العشرة فكان أمرها أسهل من ذلك بكثير . ولقد ظن ذلك المغفل بريساك الحروف (أ . ل . ب) تعنى البانيا . ولكنه عندما يحصى محتويـات الحجرة وينطق بأسماء الأشياء التى لم يقلبها سمعه الدكتور يقول:

ـ ألبوم للصور ، ألبوم للأطفال به طوابع بريد » ففهم أن الحروف ا . ل . ب لا تعنى سوى (ألبوم) وانتهز فرصـة سنحت له فوضـعه فى جيبـه واعتزم أن يحتفظ بالملايين العشرة لنفسه جزاءا ووفاقا لمـا بذله من جهد .

ـ ولم تبق سوى كلمة واحدة .. هى ان فكتور عنـدما قاد هذه المعركة ضد أرسين لوبين وجد نفسه أمام المرأة التى أعجب بها أيما اعجاب عنـدما رآها أول مرة فى سينما بلتازار ، والتى كانت ضحية ذلك المغامر الآفاق ، فرأى أن يعيد اليها حريتها ومكانتها فى المجتمع .. فلعلها تتقبل الآن وداع المفتش فكتور ، وماركوس أفيستو .. وتحيات أرسين لوبين .

« تمت »